الأجوبة الوافية في رد شبهات الوهابية

كتاب يجيب عن أهم الشبهات التي أثارتها الفرقة الوهابية
على أصول المذهب الشيعي الاثني عشري عن طريق عرض
سلسلة من الحوارات والمناظرات على بعض القنوات الفضائية

تأليف
مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

١ الجزء الأول

لجنة التأليف
الشيخ قيصر التميمي الشيخ علي حمود العبادي
الشيخ شاكر عطية الساعدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأجوبة الوافية في رد شبهات الوهابية

المجلد الأول

شبكة كتب الشيعة

تأليف:

مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

الأجوبة الوافية في رد شبهات الوهابية

المجلد الأول

تأليف: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

لجنة التحقيق: الشيخ قيصر التميمي، الشيخ علي حمود العبادي، الشيخ شاكر عطية الساعدي

تصحيح: الشيخ عبد السادة الساعدي والشيخ أمير كاظم حسون

مراجعة و تقويم: السيد حاتم البخاتي و السيد ميثم الخطيب

الناشر: دهكده جهاني آل محمد (ص)

الطبعة الاول: / ١٤٢٨ هجرى قمرى

التنضيد و الإخراج الفني: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية / محسن الجابرى

الطبع: اميران – قم المقدسة

سعر الدوره: ٩٠٠٠ تومان

العدد: ٢٠٠٠

شابک: ۴-۷-۹۴۳۸۸-۹۶۴-۹۷۸

جميع حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤسسة الكوثر للمعارف الاسلامية

هاتف: ۰۰۹۸-۲۵۱-۷۷۳۰۹۴۴

سايت: www.Annajat.org

العنوان: قم/الشارع سمية/ زقاق ١٨/ رقم الدار ١٥

مقدمة الكتاب

الحوار والمناظرة من الفنون العريقة وذات الجذور المتأصّلة في التاريخ، وقد يصعب على الباحث ـ بحسب ما بحوزته من التراث ـ أن يعطي صورة واضحة عن انطلاقة هذا الفن وبداياته.

ولكن القرآن الكريم أطلعنا على حوار جرى بين الله تعالى وبين ملائكته، حينما أراد أن يخلق الإنسان ويجعله خليفة في الأرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، فالله تعالى قد فسح المجال أمام الملائكة للإدلاء برأيهم في خلافة الإنسان، وقد افترضوا أن خليفة الله عزّ وجلّ لا يمكن أن يكون مفسداً ولا سفّاكاً للدماء، فأقرّهم الله تعالى على ذلك ولم يبطل حجّتهم، إلاّ أنّه أجابهم من جهة أخرى، وهي أنّهم لم يطّلعوا على الحقيقة كاملة، وأنّ هناك أهدافاً وغايات سامية تترتب على خلافة الإنسان في الأرض قد خفيت عليهم، ولا يحقّ لهم أن يدخلوا الحوار والمناظرة إلاّ عن علم واطلاع، وقد أذعنوا بذلك عندما قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2].

ونفهم من ذلك أنّ الحوار من الأبواب التي فتحها الله تعالى أمام كل

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣١.

مفكر عاقل قادر على إدراك الحقائق والاطلاع على مجريات الأحداث، ومن هذا المنطلق أيضاً نجد أنّ الله تعالى قد أعطى إبليس حرية الرأي وإبداء الملاحظات في المسألة ذاتها مع سابق علمه تعالى ببطلان حجته، وقد حكى لنا القرآن الكريم حواراً ومناظرة استدلالية قد دارت ـ في ذلك الحين ـ بين الله تعالى وبين إبليس عندما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[1].

هذه الحرية في الحوار وإبداء الرأي تعطينا صورة واضحة عن أهمية هذا المبدأ الذي تقوم عليه ركائز العلاقة بين الله تعالى وبين مخلوقاته.

ثم إننا عندما نتابع سيرة الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى لهداية الخلق، نجدها قائمة على التمسك بمبدأ الحوار والحرص على إيصال الرأي الآخر إلى الطرف المخالف، من قبيل ما جرى بين إبراهيم عليه السلام وبين النمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

وهذا ما أمر الله تعالى به نبيّه الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

(١) الحجر: ٣٠ ـ ٣٤.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

إذن فالنتيجة التي نخلص إليها أنّ الحوار ومبدأ المناظرة مقدّس ديني وإلهي قبل أن يكون من مقدّسات البشر.

ولكن المؤسف هو أنّ بعض القنوات الفضائية قد أساءت إلى هذا المقدّس الديني والبشري، عندما استضافت للحوار أشخاصاً لا يؤمنون به، بل يرفعون شعار التكفير والقتل والإرهاب بوجه كل من يخالفهم الرأي.

وقناة المستقلّة الفضائية ـ سيئة الصيت ـ من تلك القنوات التي كانت ولازالت تستدعي للحوار المتعجرفين من أتباع الفرقة الوهابيّة الضالّة، من أمثال عثمان الخميس والدمشقية والبلوشي، وغيرهم من التكفيريين، الذين ما فتئوا يكفّرون المسلمين بكافة طوائفهم، مستندين في ذلك إلى حجج واهية أملتها عليهم نفوسهم الضعيفة.

وبهذا أصبحت قناة المستقلّة الفضائية من القنوات المشبوهة؛ إذ ابتعدت عن عنوانها الذي تسمّت به، محاولة ـ بواسطة أولئك الضالّين ـ أن تزرع الحقد والكراهية في نفوس المسلمين، وهدفها من وراء ذلك إثارة النعرات الطائفية، وإحداث الفرقة بين أبناء أمتنا الإسلاميّة الواحدة، مع أن المسلمين في وقتنا الحاضر بأمس الحاجة إلى التماسك والوحدّة، ورصّ الصفوف؛ للوقوف أمام التحدّيات التي يواجهونها.

ومن منطلق الشعور بالمسؤولية كانت مؤسسة الكوثر للمعارف

---

(١) النحل: ١٢٥.

الإسلامية تتابع ما يجري على تلك القناة عن كثب وحرص شديدين، وكانت تسعى جادّة أيضاً لدراسة هذه الظاهرة الخطيرة والهدّامة، وقد ساهمت في ذلك الحين للعمل على إزاحة الشبهات التي قد تستحدثها أبواق الضلال في نفوس المسلمين.

ولكي تكون هذه المؤسسة المباركة فاعلة في هذا الميدان، ومؤثرة في أداء ما تشعر به من المسؤولية تجاه ما يجري في العالم الإسلامي، بادرت ـ من خلال قسم البحوث والدراسات ـ إلى دراسة أهم الشبهات العقائدية التي أثارها التكفيريون من الفرقة الضالة، ثم تصدّت وبكل جدارة للإجابة عن هذه الشبهات بأجوبة محكمة ورصينة، كشفت القناع عن زيف ما يزعمه المبطلون.

وقد استجاب لإنجاز هذه المبادرة الطيبة كل من فضيلة الشيخ علي حمود الشطري العبادي، وفضيلة الشيخ قيصر التميمي، وفضيلة الشيخ شاكر عطية الساعدي، فجزاهم الله عن الإسلام خيراً، وجعل عملهم هذا خالصاً لوجهه الكريم، ونافعاً في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

وحاولوا في أجوبتهم هذه جاهدين أن يبتعدوا عن لغة السب والتكفير والتجاوز على آراء وعقيدة المذاهب الإسلامية الأخرى، ومعتمدين في كل ذلك على الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة، مستنيرين بهدي الكتاب الكريم والسنة النبوية المباركة، التي وردت في الكتب المعتمدة عند أبناء الطائفة السنية.

منهج البحث

لقد التزمنا في الإجابة عن الشبهات في فصول هذا الكتاب منهجاً واضحاً يستند إلى الأساليب العلمية والمعتمدة في مجال البحث والتحقيق، ويمكن تلخيص تلك الأساليب بالنقاط التالية:

١ـ اعتماد التحليل والوصف في عرض الأجوبة، ثم الحكم عليها من خلال نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية المباركة.

٢ـ اعتماد المصادر الحديثية والروائية المعتمدة والمعتبرة عند علماء الطائفة السنية.

٣- اعتماد الكتب الرجالية والدرائية في تصحيح طرق الروايات والأحاديث الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والاستناد في توثيق أو تضعيف الرواة على أصح المباني المعتمدة لدى كبار علماء الطائفة السنية.

٤ـ اعتماد أقوال علماء الطائفة السنية من خلال الرجوع إلى أهم المصادر والكتب المعتبرة.

٥ـ الابتعاد عن لغة السب والتكفير والتجاوز على آراء وعقيدة المذاهب الإسلامية الأخرى، معتمدين في ذلك كلّه على الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في سبيل الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن التعصب المذهبي والجدال بالباطل.

خطة البحث

جاء البحث على النحو التالي:

تقسيم البحث إلى جزئيين، وكل جزء يتضمن على عدّة فصول.

وقد تضمن الجزء الأول الفصول التالية:

الفصل الأول: وقد تناول الإجابة عن شبهة عدم الجعل الإلهي للإمامة.

أمّا الفصل الثاني: فقد اختصت الإجابة فيه عن الشبهة القائلة بأن حديث الاثني عشر فكرة يهودية.

وأمّا الفصل الثالث: فقد تضمن الإجابة عن الشبهات الواردة حول الإمام المهدي عليه السلام والفائدة من وجوده وغيبته عليه السلام.

وأمّا الفصل الرابع: فأجبنا فيه عن شبهة استبعاد عصيان الصحابة لما أوصى به الرسول صلى الله عليه وآله.

أما الفصل الخامس: فقد اعتنى بالإجابة عن الشبهة القائلة بوجود النص على خلافة أبي بكر.

وأمّا الفصل السادس: فقد خصصناه للإجابة عن شبهة الغلو في مسألة إمامة أهل البيت عليهم السلام.

أمّا الجزء الثاني فتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: وقد كرس للإجابة عن الشبهة القائلة بأن الشعائر الحسينية بدعة.

أمّا الفصل الثاني: فتضمن الإجابة عن الشبهة القائلة بأن التوسل بأهل البيت عليهم السلام شرك.

وأمّا الفصل الثالث: فهو يجيب عن شبهة عدم مشروعية اللعن في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

أمّا الفصل الرابع: فقد تصدى للإجابة عن شبهة تحريف القرآن المنسوبة إلى الشيعة.

وأمّا الفصل الخامس: فقد أجاب عن شبهة عدم مشروعية التقية.

وأمّا الفصل السادس: فقد اعتنى بالإجابة عن شبهة عدم مشروعية الزواج المؤقت (المتعة).

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب، لاسيما الأخ السيد حاتم الموسوي والشيخ فلاح عبد الحسن الدوخي لما بذلاه من جهد ومتابعة.

وأخيراً نرجوا الله تعالى أن نكون قد وفقنا فيما قصدناه من الدفاع عن العقيدة والحرص على وحدة الأمة الإسلامية، والله من وراء القصد.

لجنة التأليف في قسم الدراسات والبحوث

مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

٢٥ / ذي القعدة / ١٤٢٨هـ

الفصل الثالث

غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

الشبهة:

١- ما الفائدة من وجود إمام غائب ؟

٢- إنّ الحجة عند الشيعة لا تقوم إلاّ بإمام، فكيف يترك الإمامة ويغيب ؟

الجواب:

قبل البدء ينبغي ذكر تمهيد مختصر له مدخلية في الإجابة.

تمهيد:

إنّ الشريعة التي جاء بها الدين الإسلامي ما هي - في مجملها، وحقيقتها، وبكل جوانبها- إلاّ خطّة إلهيّة أُعدّت بإحكام، ووضعت من أجل ترشيد المجتمع البشري نحو الأصلح والأقوم، وبلوغ السعادة في الدارين.

وقد وعد الله تعالى البشرية - التي عانت طوال حياتها من الظلم، والجور- أن يسودها العدل والأمان في الأرض.

قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾[1].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2].

إلاّ أنّ تحقق هذا الهدف على أرض الواقع يتوقف على توفّر شرائطه،

---

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) القصص: ٥.

التي شاء الله عزّ وجلّ بحكمته أن تكون من طرقها الطبيعية، وضمن ما هو المألوف، لا بشكل إعجازي وخارق لما هو المعتاد.

وحيث إنّ الله تعالى ـ لحكمته ولطفه بعباده ـ قد نصّب أولياء هداة معصومين، يمثلون امتداداً طبيعياً للرسالة المحمّديّة، فهم أُمناء الوحي والرسالة، وحجّة الله على العباد، وهم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أوّلهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام، وقد ثبت ذلك مسبقاً، بمقتضى عدد وافر من الآيات القرآنية، كآية الولاية، وآية أولي الأمر، وآية التطهير، وآيات البلاغ في الغدير، وآية المودة في القربى[1] وغيرها، مضافاً إلى عدد كبير جداً من الأحاديث النبويّة التي رواها أصحاب الصحاح من أهل السنة، كحديث الثقلين المتواتر الذي مفاده أنّ أهل البيت عليهم السلام لن يفترقوا عن القرآن حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض[2]، فكما أنّ القرآن باق إلى يوم القيامة كذلك أهل البيت عليهم السلام، وكحديث الخلفاء الاثني عشر «كلّهم من قريش»[3]، وحديث السفينة[4]، وأهل بيتي عليهم السلام أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض[5] وأتاهم ما يوعدون، وغير ذلك من الأحاديث الدالّة على بقاء الإمامة الإلهية، واستمرارها في الأرض.

---

(١) الآيات: المائدة: ٥٥، النساء: ٥٩، الأحزاب: ٣٣، المائدة: ٦٧.

(٢) السنن الكبرى، النسائي: ج٥ ص٤٥ ص١٣٠؛ خصائص أمير المؤمنين: النسائي: ص٩٣؛ المعجم الصغير، الطبراني: ج١ ص١٣١ ص١٣٥.

(٣) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٥ ص٨٧ – ٨٨

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٩ ص١٦٨، المعجم الأوسط، الطبراني: ج٦ ص٨٥

(٥) شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦، ذخائر العقبى، الطبري: ص١٧.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ خلفائي، وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي، الاثنا عشر، أوّلهم عليّ، وآخرهم ولدي المهدي»[١].

وشاءت الإرادة الإلهية أن يكون الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام - الذي يمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الأئمة الهداة- مصلحاً للبشرية، ومحققا للهدف النهائي، والثمرة الكبيرة والمرجوة من رسالات السماء وبعث الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢].

إذن فلابدّ - بحسب التخطيط الإلهي- من إقامة العدل، والسلام في العالم، بعد انتشار الظلم والجور والفساد في ربوع الأرض وأرجائها، وهو ما نشاهده ونراه بالحس والعيان في كل حدب وصوب، وهذا ما يتطابق مع ما تنبّأ به رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «تملأ الأرض ظلماً وجوراً، ثم يخرج رجل من عترتي، يملك سبعاً أو تسعاً، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً»[٣]، فكما أنّ الأرض مُلئت وستُملأ بالجور والفساد والظلم، لا بدّ لها من يوم تُملأ فيه عدلاً وقسطاً، على يد الإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه.

إلاّ أنّ النقطة الجديرة بالذكر هي أنّ تحقق هذا الهدف، وهو إقامة

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج ٣ ص٢٩٥.

(٢) الحديد: ٢٥.

(٣) سنن أبي داود، السجستاني: ج٤ ص٧١٢ ح٤٢٧٦؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٣ ص٢٨ ص٣٦ ص٧٠؛ المستدرك الحاكم: ج٤ ص٥٥٧؛ وانظر مجمع الزوائد: الهيثمي: ج٧ ص ٣١٤، وقال فيه: «رواه الترمذي وغيره باختصار، رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار، ورجالهما ثقات»؛ وانظر: المصنف: الصنعاني: ج١١ ص٣٧٢- ٣٧٣.

العدل والقسط في الأرض، يتوقف على توفر شرائطه التي أراد الله تعالى بحكمته أن تكون من الطريق الطبيعي لا الإعجازي، وهذا ما جرت عليه السنن الإلهية في هذا العالم، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[١] وقال تعالى أيضاً: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٣] وقال: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[٤] وغير ذلك من الآيات المباركة، التي تكشف عن أنّ التخطيط الإلهي لجريان السنن في هذا العالم مبنيّ على السير الطبيعي للبشرية، إلاّ في الظروف الخاصّة والاستثنائية، التي تقتضي فيها الحكمة الإلهية إنجاز الهدف والوصول إليه عن طريق الإعجاز وخرق المعتاد، وذلك كإثبات أصل نبوة الأنبياء مثلاً.

وإقامة العدل على هذه الأرض جاء ضمن ذلك الإطار، فلكي يتحقق على أرض الواقع ويحين أجله، لابد من اكتمال جميع شرائطه، وعلى ضوء ذلك كانت غيبة إمامنا المهدي عليه السلام جزءاً من هذا التخطيط والحكمة الإلهية، من أجل أن تكتمل باقي الشرائط لظهور الحق وإقامة العدل، تلك الشرائط التي يتحقق معظمها في أحضان الغيبة، وهذا ما أخبر به رسول

---

(١) الأنفال: ٣٧.

(٢) الأنفال: ٤٢.

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) آل عمران: ١٤٠ - ١٤٢.

الله صلى الله عليه وآله في روايات عديدة من كتب الفريقين:

منها: ما أخرجه الأربلي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما أنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ منكم﴾[1]، قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك، فقال صلى الله عليه وآله: «هم خلفائي من بعدي يا جابر، وأئمة الهدى بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه عنّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّي وكنيّي، وحجّة الله في أرضه، وبقيّته في عباده محمد بن الحسن بن عليّ، ذلك الذي يفتح الله عز وجل على يده مشارق الأرض ومغاربها، وذلك الذي يغيب عن شيعته، وأوليائه، غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان»، فقال جابر: فقلت: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: «أي والذي بعثني بالحق، إنهم ليستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله، ومخزون علم الله، فاكتمه إلاّ عن أهله»[2].

وعن علي بن علي الهلالي، عن أبيه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في شكاته التي قبض فيها فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه. قال: فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمة،

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) ينابيع المودّة، القندوزي: ج٣ ص٣٩٩.

ما الذي يبكيك فقالت: أخشى الضيعة بعدك، فقال: يا حبيبتي، أما علمت أن الله - عزّ وجلّ - اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها بعلك، وأوحى إلي أن أنكحك إياه يا فاطمة، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تعط لأحد قبلنا ولا تعطى أحداً بعدنا. أنا خاتم النبيين، وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عزّ وجلّ وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء، وأحبهم إلى الله، وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء، وأحبهم إلى الله، وهو عمك حمزة بن عبد المطلب، وعم بعلك، ومنا من له جناحان أخضران يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء، وهو ابن عم أبيك، وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة، وهما ابناك الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما - والذي بعثني بالحق - خير منهما. يا فاطمة - والذي بعثني بالحق - إن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عزّوجلّ عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة، وقلوباً غلفاً يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي، فإن الله عزّوجلّ أرحم بك وأرأف عليك مني، وذلك لمكانك من قلبي، وزوجك الله زوجاً، وهو أشرف أهل بيتك حسباً وأكرمهم منصباً، وأرحمهم بالرعية، وأعدلهم بالسوية، وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي عزّ وجلّ أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي، قال علي رضي الله عنه: فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله لم تبق فاطمة رضي الله عنها بعده إلا خمسة

وسبعين يوماً حتى ألحقها الله عزّ وجلّ به صلى الله عليه وآله. رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه: الهيثم بن حبيب، قال أبو حاتم: منكر الحديث وهو متهم بهذا الحديث[١].

أقول: ولم يجدوا في الهيثم بن حبيب مطعناً سوى روايته لهذا الحديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام وله نظائر كثيرة!!.

وعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لفاطمة نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي.

رواه الطبراني في الصغير وفيه قيس بن الربيع وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله ثقات[٢].

ومنها: ما جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري أيضاً: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة، تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً**»[٣]، وغير ذلك من الروايات، الدالة على ضرورة الغيبة، من أجل اكتمال شرائط الظهور، وإقامة العدل والقسط، وذلك من خلال تخطي البشرية لمراحل عديدة من التمحيص والفتن والحيرة، والابتلاء.

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص١٦٥ – ١٦٦.
(٢) المصدر نفسه: ج٩ ص١٦٦.
(٣) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٣٨٦.

وهذا ما أقرّ به الألباني أيضاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حيث قال: «فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلمائهم - إلاّ القليل منهم - اتخذهم الناس رؤوساً!، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلاّ بعد أن يوحّد كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد، الله أعلم به»[1].

هوية الغيبة

إنّ غيبة الإمام عجل الله فرجه الشريف تعني خفاء عنوانه غالباً، وليس اختفاء شخصه عن الأنظار، وإن كان خفاء المعنون قد يتحقق أيضاً في بعض الأحيان كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات على ما سيأتي لاحقاً، ولكي يتضح هذا المعنى يتعين التذكير بأن الإمامة لطف من الله تعالى، ولولا خليفة الله في الأرض لساخت بأهلها.

دوام الإمامة واستمرارها لطف إلهي

لا شك أن النبوّة وبعثة الأنبياء من أعظم الألطاف الإلهية في حق البشرية، وذلك من أجل إيصالها إلى كمالها اللائق بها، وإلى مصالحها والأهداف التي خُلقت من أجلها، والتي لا يمكن لعقول البشر القاصرة أن تدركها أو تقف على كنهها، فالنبوّة جاءت في ضمن سياق هداية الله عزّ وجلّ للبشر وتوجيههم الوجهة التي خلقوا من أجلها.

ومن أعظم تلك الألطاف الإلهية بعثة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله بالرسالة

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ج٤ ص٤٢.

الخاتمة والدين الإسلامي، ليظهره على الدين كلّه، ولو كره المشركون.

ومما لا ينبغي الشك فيه أيضاً أن الإمامة، وقيادة الأمّة - في الجوانب الفكرية والدينية والسياسية - بعد رسول الله صلى الله عليه وآله استمرار لذلك اللطف الإلهي، وإتمام لتلك النعمة، وذلك من أجل الإبقاء والحفاظ على روح الإسلام ومعالمه، وضمان استمرارها ورشدها ونموها إلى قيام الساعة.

فاستمرار وجود الإمام في كل زمان لطف من الله تعالى من أجل حفظ الدين وصلاحه ورفعته وعزته، وكذلك لأجل الحفاظ على كرامة الأمة الإسلامية، والإبقاء على هويتها وكيانها، فهو أمان للأمّة من الهلاك والضلال والغواية، بل هو أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب ذهب أهل الأرض، ولولاه لساخت الأرض وماجت بأهلها، وقد أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله على تلك الحقيقة الخطيرة والمحورية في حياة الأمة عندما قال: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[1]، وقد أمرنا بالتمسك بهم في حديث الثقلين، وأنبأ عن عدم افتراقهم عن القرآن الكريم، حتى يردا عليه الحوض، ثم قال صلى الله عليه وآله: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[2].

---

(١) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٤٢٦؛ ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ص١٧؛ وانظر المستدرك، الحاكم: ج٣ ص٤٥٧ ج٢ ٤٨٨، حيث قال في ذيل الحديث: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) صحيح مسلم، مسلم: ج٧ ص١٢٣؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٤ ص٣٦٧؛ سنن الدارمي، الدارمي: ج٢ ص٤٣٢؛ سنن البيهقي، البيهقي: ج٢ ص١٤٨؛ وغيرها من المصادر.

لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها

إذن فالحجّة باقية ومستمرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، ولولا تلك الحجة التي نصبها من بعده صلى الله عليه وآله ـ بأمر من الله عزّ وجلّ ـ لساخت الأرض بأهلها، وقد تواتر هذا المضمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ألسنة مختلفة من الروايات، منها قوله صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يوعدون»[1].

مضافاً إلى تأكيد أهل البيت عليهم السلام على هذه الحقيقة، كقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اللّهم وإنك لا تخلي الأرض من قائم بحجة؛ إما ظاهر مشهور، أو خائف مغمور، لئلا تبطل حجج الله، وبيّناته»[2].

وكذا ما أخرجه القندوزي الحنفي، عن الحموي المصري في كتابه «فرائد السمطين» عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، عن جدّه علي بن الحسين عليه السلام قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وقادة الغرّ

---

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٢ ص٤٤٨، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٠ ص٢٠؛ وانظر الجامع الصغير، السيوطي: ج٢: ص٦٨٠، وانظر فيض القدير، المناوي: ج٦ ص٣٨٧؛ وقال المناوي: «لكن تعدد طرقه ربما يصيره حسناً»؛ النزاع والتخاصم، المقريزي ص١٣٢، مع اختلاف في اللفظ.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥، تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦؛ وقريب منه في تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج١ ص١٢، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني: ص٥٧، كنز العمال، المتقي الهندي: ج ١٠ ص٢٦٣، (أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف والمرهبي في العلم ونصر في الحجة)، المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي: ص٨١ مناقب أمير المؤمنين: محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص٢٧٥، دستور معالم الحكم: ابن سلامة: ص٨٤، وقريب منه في ينابيع المودة: القندوزي الحنفي: ج١ ص٧٥.

المحجّلين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وبنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبنا يُنزّل الله الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولولا ما على الأرض منّا لساخت بأهلها.

ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله الأرض من حجّة فيها؛ إما ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله»[١].

قال سليمان الأعمش: فقلت، لجعفر الصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب»[٢]، فنجد أن الإمام زين العابدين عليه السلام يشير بقوله هذا إلى ما ذكره جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، بقوله: «في كل خلوف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ، فانظروا بمن توفدون»[٣]، وقوله صلى الله عليه وآله المتقدم: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٤]. وأولئك العدول من أهل بيته ـ الذين هم أمان لأهل الأرض ـ هم الاثنا عشر خليفة الذين نصبهم خلفاء من بعده، وجعلهم قيّمين على هذا الدين، وقال صلى الله عليه وآله

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٧٥ و ج٣ ص٣٦٠-٣٦١.

(٢) المصدر نفسه: ج١ ص٧٦ ج٣ ص٣٦١.

(٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، باب الأمان ببقائهم: ص٣٥٢؛ ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ص١٧؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص١١٤.

(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم: ج٢ ص٤٤٨؛ قال فيه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦، ذخائر العقبى، الطبري: ص١٧، ونحوهُ النزاع والتخاصم، المقريزي: ص١٣٢.

في حقهم: «إذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»[١].

إذن، لا بد في كل زمان من إمام عادل، معصوم، لا يفترق عن القرآن، من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، يكون أماناً لأهل الأرض، به تتحقق عزّة الإسلام وصلاح الأمّة.

الغيبة لطف إلهي

أمّا في زماننا هذا، فإن الإمام المهدي عجل الله فرجه من أهل البيت هو خليفة الله في أرضه، كما هو واضح من الروايات المستفيضة عن الرسول صلى الله عليه وآله، منها قوله: «فإن فيها خليفة الله المهدي»[٢]، ولذا نجد المناوي في كتابه (فيض القدير) في ذيل هذه الرواية يشير إلى أن الإمام المهدي هو الإنسان الكامل، وهو خليفة الله في أرضه، حيث قال: «فإن قلت ما حكمة إضافته إلى الله، وهلاّ قال الخليفة ؟ قلت: هو إشارة إلى أنه إنسان كامل قد تجلى عن الرذائل، وتحلّى بالفضائل، ومحل الاجتهاد والفتوة، بحيث لم يفته إلاّ مقام النبوة»[٣].

إلاّ أن الأمر المهم الذي ينبغي الالتفات إليه، هو أنه عليه السلام غائب مستور، إذ أن الإمام المهدي عليه السلام يمتاز عن بقية آبائه عليهم السلام بخصوصية إضافية، وهي أن الإرادة الإلهية شاءت أن يقام العدل في هذه الأرض على يده المباركة، وشاءت أيضاً أن لا يكون قيام العدل إلاّ في ضمن الشروط الطبيعية، لا بالطريق الإعجازي - كما تقدم - وحيث إن شرائط الظهور

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص٣٤، المعجم الكبير: الطبراني: ج٢ ص١٩٦ (بألفاظ أخرى).
(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج٥ ص٢٧٧، ونحوه في المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٤ ص٤٦٤؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص١٠٠ ح٦٤٨.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ج١ ص٤٦٦ ح٦٤٨.

وإقامة العدل ـ من طرقها الطبيعية التي أرادها الله تعالى لها ـ غير متوفرة إلى يومنا الحاضر، فلا بد من استمرار الغيبة، والخفاء حتى توفر شرائط الظهور ويأذن الله عزّ وجلّ بالظهور، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى إن وجود الإمام المهدي عليه السلام ظاهراً بين الناس يجعله عرضة للقتل - كما سيأتي- ومن هنا كانت الغيبة للإمام، وحفظه من كيد الأعداء، لطفاً من الله تعالى بعباده، من أجل تحقيق الهدف الإلهي وثمرة الأديان بإقامة العدل والقسط في الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1].

ومما تقدم يتبين أن غيبة الإمام والحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف إنما هي حالة استثنائية في حياة البشرية، وبالخصوص في حياة الأمّة الإسلامية ـ لأن الحالة الطبيعية هي وجوده بين أشياعه وأتباعه يتعاطى معهم بشكل معلن ومباشر ـ وذلك من أجل الحفاظ عليه، وادّخاره لذلك اليوم الموعود.

حقيقة الغيبة: خفاء الهوية والعنوان لا خفاء الشخصية

لا شك أن الحالات الاستثنائية يقتصر فيها على ما ترتفع به الضرورة، وحيث إن الضرورة هي احتجابه عليه السلام عن الناس، بما يوجب نجاته والمحافظة عليه من براثن الظلم والعدوان، فمقدار الغيبة حينئذ يقتصر فيه على خفاء العنوان، واستتار الهوية ليس أكثر، وإن كانت الضرورة قد تقتضي خفاء المعنون أيضاً على ما أشارت إليه بعض الروايات؛ لأن هذا المقدار من الغيبة كاف لرفع حالة الاستثناء، فهو عجل الله تعالى فرجه موجود بشخصه

---

(١) الحديد: ٢٥.

الكريم في وسط الناس، وليست غيبته باختفاء جسمه عن الأنظار، كاختفاء الجن، أو الملائكة أو غير ذلك، بل إنّ الناس يرون الإمام المهدي عليه السلام بشخصه المبارك، ولكن من دون أن يكونوا عارفين له أو ملتفتين إلى حقيقته وشخصه وهويته، وهذا ما نصّت عليه جملة من الروايات:

منها: ما ورد عن الإمام علي عليه السلام، حيث قال: «إذا غاب المتغيب من ولدي عن عيون الناس، وماج الناس بفقده، أو بقتله، أو بموته، اطلعت الفتنة، ونزلت البليّة... فوربّ عليّ إن حجتها عليها قائمة، ماشية في طرقها، داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شرق هذه الأرض وغربها، تسمع الكلام، وتسلّم على الجماعة، ترى ولا تُرى، إلى الوقت والوعد، ونداء المنادي من السماء، ألا ذلك يوم فيه سرور ولد عليّ وشيعته»[1] وهذه الرواية أكدت على خفاء العنوان كما هو واضح وإن أشارت في الأثناء إلى خفاء العنوان والمعنون معاً أيضاً في بعض الأحيان.

ومنها: ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم، المجحود حقّه، صاحب الأمر يتردّد بينهم، ويمشي في أسواقهم، ويطأ فرشهم، ولا يعرفونه، حتى يأذن الله له أن يعرفهم نفسه، كما أذن ليوسف، حين قال له إخوته: ﴿أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ﴾[2]»[3].

---

(١) الغيبة: محمد بن إبراهيم النعماني: ص١٤٣.

(٢) يوسف: ٩٠.

(٣) الغيبة، النعماني: ص١٦٤.

ومنها: ما جاء أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «في القائم سنّة من موسى، وسنة من يوسف، وسنّة من عيسى، وسنّة من محمد صلى الله عليه وآله ... وأما سنّة يوسف فإن إخوته كانوا يبايعونه، ويخاطبونه، ولا يعرفونه»[١].

وفي رواية أُخرى: «وسنّة من يوسف بالستر، يجعل الله سبحانه بينه وبين الخلق حجاباً يرونه، ولا يعرفونه»[٢].

ومنها: ما ورد كذلك عن أبي عبد الله عليه السلام: «يفقد الناس إمامهم، وإنه يشهد الموسم، فيراهم ولا يرونه»[٣] والمراد من عدم الرؤية عدم معرفته عجل الله فرجه الشريف بشخصه وعنوانه، بقرينة ما يأتي وما تقدم من الروايات.

ومنها: قول محمد بن عثمان العمري، وهو أحد سفراء ووكلاء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في غيبته الصغرى: «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، يرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه»[٤].

ما الفائدة من الإمام الغائب ؟

بعد الوقوف على حقيقة وهوية الغيبة، وأنها ليست إلاّ استتار العنوان فقط وإن كان استتار المعنون قد يحصل أيضاً كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات، وهو ما يقع لأجل تقدير بعض الظروف والضرورات المقتضية لذلك، يتضح أن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف حاضر بوجوده المبارك بين

---

(١) كمال الدين، الصدوق: ص٢٨.

(٢) المصدر نفسه: ص٣٥١؛ الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج٢ ص٩٣٧.

(٣) أصول الكافي، الكليني: ج١ ص٣٣٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ج٢ ص٥٢٠؛ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٤٤٠؛ الغيبة، الطوسي: ص٣٦٤.

الناس، ولكن – بعد أن أثبتنا ضرورة وجوده عجل الله فرجه – قد لا يمكننا أن نشعر أو نحيط بفوائد وجوده المبارك، كما أشار إلى ذلك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حينما سأله جابر بن عبد الله الأنصاري عن فائدة الإمام في غيبته، فقال صلى الله عليه وآله: « **والذي بعثني بالحق إنهم ليستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها سحاب**»[1].

ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى بعض وجوه الانتفاع منه عجل الله فرجه في غيبته، وما يقوم به من أعمال وأدوار، نذكرها على سبيل الإجمال والاختصار:

إدارة الإمام عجل الله فرجه في زمن الغيبة

قد تقدم آنفاً ضرورة وجود الحجّة من أهل البيت عليهم السلام، واستمراره إلى قيام الساعة، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، ونضيف إلى ذلك القول: بأن الإمام عجل الله فرجه يمارس أدواره التي لا تتقاطع مع غيبته، فهو عليه السلام يمارس دوره الاجتماعي والسياسي بالمباشرة، أو بتوسط مجموعة من رجال الغيب الذين يُصطلح عليهم بالأبدال، والسيّاح الذين يديرون حكومته الخفيّة، ويتصرفون في مقادير الأمّة، بل البشرية جمعاء، من أجل درئها عن الانحراف، وحفظها عن الزيغ والضلال، والوقوع في الهاوية، وهذا ما تشير إليه الروايات الواردة من طرق الفريقين:

١- قال السيوطي في (الدّر المنثور): «وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً**،

---

(١) كشف الغمة، الأربلي: ج٢ ص٣١٥؛ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٢٣٩.

مثل خليل الرحمن، فبهم تسقون وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلاّ أبدل الله مكانه آخر».

وأخرج الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون.

وأخرج أحمد في (الزهد) والخلال في (كرامات الأولياء) بسند صحيح عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض....

وأخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلاّ وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلاّ زمن إبراهيم فإنه كان وحده.

وأخرج أحمد في الزهد عن كعب قال: لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع الله بهم العذاب.

وأخرج الخلال في كرامات الأولياء عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض»[1].

٢- ما أخرجه الهيثمي، عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون، مثل خليل الرحمن عزّ وجلّ، كلّما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً»[2]، قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الواحد بن قيس، وقد وثّقه العجلي، وأبو زرعة[3].

---

(١) الدر المنثور، السيوطي: ج١ص٧٦٥-٧٦٦.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص٦٢؛ عون المعبود، العظيم آبادي: ح٨ ص١٥١ ج١١ ص٢٥٣؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص١٨٦.

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص٦٢.

٣- وعن عبادة بن الصامت أيضاً، عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال في أمتي ثلاثون، بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون»[١] قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن[٢]، وقد صححه العزيزي، والمناوي، في شرحيهما على الجامع الصغير للسيوطي[٣].

وقال المناوي في فيض القدير: «وهذه الأخبار وإن فرض ضعفها جميعها، لكن لا ينكر تقوي الحديث الضعيف بكثرة طرقه وتعدد مخرجيه، إلاّ جاهل بالصناعة الحديثية، أو معاند متعصب، والظن به ـ أي بابن تيمية ـ أنه من قبيل الثاني»[٤].

ثم إن أولئك الأبدال مستترون عن أعين الناس، كما نصّ على ذلك الغزالي، حيث قال: «إنما استتر الأبدال عن أعين الناس والجمهور؛ لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت، لأنهم جهّال بالله، وهم عند أنفسهم، وعند الجهلاء علماء»[٥].

وبعض من الأبدال من أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه، يخرجون معه حين يخرج، كما أخرج ذلك نعيم بن حمّاد المروزي في «كتاب الفتن» عن عليّ عليه السلام قال: «إذا سمع العائذ الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفاً، فيهم الأبدال»[٦].

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص٦٢ ـ ٦٣؛ عون المعبود، العظيم آبادي: ج٨ ص١٥١؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ج٣ ص٢١٧.
(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص٦٢ ـ ٦٣.
(٣) نقلاً عن عون المعبود: ج٨ ص١٥٢.
(٤) فيض القدير، المناوي: ج٣ ص٢٢٠.
(٥) نقلاً عن فيض القدير: ج٣ ص٢٢٠.
(٦) كتاب الفتن، المروزي: ص٢١٥.

إذن فهناك أوتاد وأبدال، على درجة عالية من الإيمان والإخلاص والتضحية في سبيل الإسلام، مستترون عن أعين الناس بخفاء عنوانهم الذي هم عليه، يقومون بإنجاز أدوار مهمّة في الأمّة، وقد ذكرت بعضها الروايات - كما تقدم- فلا غرابة حينئذ أن يستعين بهم الإمام المهدي عجل الله فرجه في إدارة حكومته المستترة أثناء غيبته، لا سيما وأن الروايات ذكرت أن بعضهم من أنصاره عجل الله فرجه عند ظهوره، لإقامة دولة العدل والقسط.

ولا يخفى أن الإدارة الخفيّة أقوى وأشد تأثيراً في الواقع من الإدارة الظاهرة، كما هو الحال في ما نشاهده اليوم من التحكم بمقادير الأمور، وإدارة العالم بواسطة أجهزة المخابرات التي تعمل خلف الكواليس، وكذا ما في السياسات الماليّة الخفيّة، كالبنك الدولي الذي بيده مقادير سياسة العالم الاقتصادية، ولكن بصورة مبطّنة غير معلنة.

وجه التشابه بين الخضر عليه السلام والإمام المهدي عجل الله فرجه

وقد ضرب الله تعالى مَثَلاً لنا في قصة الخضر عليه السلام مثلاً لما يقوم به الإمام المهدي عليه السلام، حيث استعرض القرآن الكريم هذه القصة في وسط سورة الكهف، هذا مع علمنا بأن القرآن الكريم لم يكن هدفه من طرح هذه القصة تسطير الحكايات الخياليّة التي لا واقع لها ـ والعياذ بالله ـ فالقرآن الكريم منزّه عن ذلك.

قصة الخضر

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا *

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا* قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[1].

فقد أمر الله عزّ وجلّ نبيّه موسى عليه السلام بالذهاب إلى الخضر عليه السلام المتخفي المستتر، حيث لم يكن أحد يعلم بمكانه إلاّ الله وموسى، بعد أن أعلمه الله تعالى بمحلّ تواجده، وذلك للتعلم والأخذ منه، والاطلاع على معالم الإدارة الإلهية الخفية، التي تدار بعيداً عن أعين الناس، فالخضر عليه السلام مع كونه متستراً، كما نقل ذلك النووي عن الثعلبي، قوله: «الخضر نبيّ معمّر على جميع الأقوال، محجوب عن الأبصار، يعني عن أبصار أكثر الناس»[2].

فهو عليه السلام منتدب من الله تبارك وتعالى لإنجاز الأوامر الإلهيّة، يعمل ضمن مجموعة خاصّة من البشر، لا يعلمها أحد من عامة الناس، وهم أوتاد الأرض وأبدالها كما تقدم ذكرهم، وكما تصرح بذلك الآية المباركة، حيث جاء فيها قوله عزّ وجلّ: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾.

ثم إن الخضر عليه السلام بنفسه قد صرّح لموسى عليه السلام بأن كل ما فعله لم يكن عن أمره، وإنما هو بأمر من الله تعالى، حيث قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[3].

إذن هذه السورة المباركة تشير إلى وجود منظومة ومجموعة من البشر على وجه الأرض، هم عباد الله، اختصهم لنفسه، يقومون بإنجاز المهامّ الإلهية الخطيرة والمحورية التي لها الأثر البالغ والمهم على مسار البشرية،

---

(١) الكهف: ٦٥ ـ ٦٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٥ ص١٣٦.

(٣) الكهف: ٨٢

ولم يحظ موسى عليه السلام من ذلك، إلاّ بعد عدّة وقائع، استعرضها القرآن الكريم، ولم يصبر على تلقي المزيد من تلك الأدوار والمهام؛ ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**رحمة الله علينا، وعلى موسى، لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب**»[١].

فكان الخضر عليه السلام، ومجموعة من عباد الله الصالحين يديرون هذا العالم بطور وطراز آخر، على غير ما هو المألوف عندنا، بحسب الأسباب الظاهرة والإدارة المعلنة، وهذا ما صرّح به الكثير من المفسرين، كالمراغي في تفسيره تبعاً للفخر الرازي وغيره، حيث قال: «**وأحكام هذا العالم مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر، وهذه لا يطلع الله عليها إلاّ بعض خواصّ عباده**»[٢].

ثم إنّ السورة المباركة تستعرض في هذه القصّة ثلاث قضايا مهمّة وأساسية في الحياة البشرية مارسها الخضر عليه السلام:

الأولى: وهي قضية سفينة المساكين التي خرقها الخضر عليه السلام حتى لا يغصبها الملك، قال تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾[٣].

فلو صادرها الملك لأثّر ذلك سلباً على معيشة أولئك المساكين، حيث كانت السفينة مصدر رزقهم؛ لذا قال الفخر الرازي في تفسيره: «إنّ تلك

---

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج١٥: ص٣٥٦؛ السنن الكبرى، النسائي: ج٦: ص٣٩١؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج٦ ص٣٩٧، تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ج٣ ص١٠٣.

(٢) تفسير المراغي، المراغي: ج٦ ص٦، وكذا انظر: تفسير الفخر الرازي: ج١١ ص١٦٠.

(٣) الكهف: ٧٩.

السفينة كانت لأقوام محتاجين، متعيشين بها في البحر، والله تعالى سماهم مساكين...»[١].

وقال المراغي في تفسيره، حكاية عن الخضر عليه السلام: «أما فعلي ما فعلته بالسفينة، فلأنها كانت لقوم ضعفاء، لا يقدرون على دفع الظلمة، وكانوا يؤاجرونها ويكتسبون قوتهم منها... وخلاصة ذلك: إنّ السفينة كانت لقوم مساكين عجزة، يكتسبون بها، فأردت بما فعلت إعانتهم على ما يخافون، ويعجزون عن دفعه، من غصب ملك قدّامهم، من عادته غصب السفن الصالحة»[٢].

الثانية: قصّة الغلام، وأنّه لو بقي حيّاً لكان في ذلك مفسدة لوالديه، في دينهما ودنياهما، و «لو بقي كان فيه بوارهما، واستئصالهما»[٣]، بل قد جاء في روايات الفريقين: أن الله تعالى أبدل أبويه ـ رحمة بهما ـ بجارية ولدت سبعين نبيّاً، فالسنّة الإلهية اقتضت أن لا يُرزقا تلك الجارية المباركة، إلاّ بعد فقدانهم ذلك الغلام.

ولا يخفى ما في الدور الكبير لوجود سبعين نبياً في حياة البشر، وهدايتهم ورقيهم، كما نصّت على ذلك بعض الروايات، فقد أخرج ابن حجر، عن تفسير ابن الكلبي: «ولدت [أم الغلام] جارية، ولدت عدة أنبياء، فهدى الله بهم أمماً، وقيل: عدة من جاء من ولدها من الأنبياء سبعون نبياً»[٤].

الثالثة: قصة إصلاح الخضر عليه السلام للجدار، لأنه لو انهار ذلك الجدار لضاع

---

(١) تفسير الرازي، الفخر الرازي: ج١١ ص ١٦١.
(٢) تفسير المراغي، المراغي: ج٦ ص٧.
(٣) الدر المنثور، السيوطي: ج٥ ص٤٢٩.
(٤) فتح الباري، ابن حجر: ج٨ ص٣٢٠؛ ونحوه تفسير القرطبي: ج١١ ص٣٧؛ وانظر فتح القدير، الشوكاني: ج٣ ص٣٠٦.

مال اليتيمين اللذين كان أبوهما صالحاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1].

خصائص الحكم الإلهي

لا يخفى أن العبر والمعطيات التي ضمّنها الله تعالى في قصة الخضر عليه السلام كثيرة ومهمّة جداً، ولكن نستعرض منها ما يتعلق ببحثنا وموضوعنا، وهي كالآتي:

١ـ دوام الحاكمية الإلهية

إنّ حاكمية الله تعالى في الأرض لا تنقطع أبداً إلى يوم القيامة، والذي يقوم بأداء وتنفيذ حكم الله في الأرض هو خليفته في أرضه، فخليفة الله هو الواسطة المباشرة لإجراء حاكميته تعالى.

وقد جاء ذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] سواء كان ذلك الخليفة رسولاً أم نبياً أم ولياً ووصياً من الأوصياء.

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّه﴾[3].

وقال عزّ وجلّ: ﴿إنّما قَولُ المُؤمِنينَ إذا دُعُوا إلى اللهِ ورسولِهِ لِيَحكُمَ بينَهُمْ أنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وأطَعْنا﴾[4].

---

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) يوسف: ٤٠.

(٤) النور: ٥١.

وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[١].

فحاكمية الله تعالى ـ التي لا تقتصر على سلطته في التشريع فقط، بل يداه مبسوطتان في كل المجالات القضائية والسياسية والاقتصادية ـ يجريها على أيدي خلفائه من الرسل والأنبياء والأولياء والأوصياء.

هذا وقد أرشدنا الله عزّ وجل في قرآنه الكريم إلى خلفائه الذين جعلهم أئمة وقادة للبشرية جمعاء، ابتداءً من آدم عليه السلام أبي البشر، وأوّل خليفة لله على أرضه، ومروراً بنوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام، وانتهاءً برسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، وأوصيائه عليهم السلام الهداة المهديين، حيث قال تبارك وتعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٣].

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٤].

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٥].

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) السجدة: ٢٤.

(٣) الأنبياء: ٧٣.

(٤) القصص: ٥.

(٥) البقرة: ١٢٤.

ومن حصيلة هذه النصوص القرآنية وغيرها مما يشاركها في المضمون، يتضح أنّ الله عزّ وجلّ قد جعل خلفاء له في الأرض، ينفّذون حاكميته في الأرض، ويمثّلون مظهراً وتجلياً لسلطنته على الخلق.

٢ـ شمولية الحاكمية الإلهية

ثم إنّ تلك الحاكمية لله تعالى شاملة لكل المجالات، ولجميع الأمور مهما كان حجمها، وهذا ما نلمسه واضحا من النصوص القرآنية، حيث نجد أن الله تبارك وتعالى هو الحاكم في جميع الأمور، وكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله منفذاً لحكم الله في الأرض، ومن تلك الآيات المباركة، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[٣].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾[٤].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾[٥].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ

---

(١) الأنفال: ٧٠.

(٢) التوبة: ٧٣.

(٣) الأنفال: ٦٥.

(٤) الأحزاب: ٢٨.

(٥) التحريم: ١.

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤].

وغيرها من النصوص القرآنية الأخرى.

وقد خاطب الله تعالى نبيّه ﷺ في القرآن الكريم بـ« قل كذا» و«قل كذا» في أكثر من (٣٥٠) مورداً، وكانت الأوامر الإلهية تنزل على رسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، بدءاً من بيته وشؤونه الخاصة، ومروراً بقضايا الحكومة والدولة وإدارة شؤون المسلمين ومسائل الحرب وقضايا الجهاد وغيرها، فلا يُعقل أن هذه الحاكمية الحيّة والفعّالة من قبل الله تعالى تجاه قضايا الإسلام والمسلين والتي تجري وتُنفّذ عن طريق خليفته المعصوم عن الخطأ، وهو رسول الله ﷺ، تنقطع بين ليلة وضحاها، ويوكل الأمر إلى عامّة المسلمين الذين يجهلون أبسط المسائل الفقهية، فضلاً عن

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) النحل: ٤٤.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) الأنفال: ٦١.

غيرها من القضايا المهمة في حياة المسلمين، والبشرية بصورة عامة.

إذن لابد من وجود من ينفّذ حاكميته تعالى بعد رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، وذلك هو الخليفة الحقّ الذي يحمل مزايا الأنبياء والأوصياء والرسل؛ ليكون قادراً على تحمل الأمانة، وتنفيذ تلك الحاكمية بالنحو الذي أراده الله عزّ وجلّ، منذ بدء الخلق إلى قيام الساعة، وقد نصب رسول الله صلى الله عليه وآله، بأمر من الله تعالى ذلك الخليفة من بعده، وهم أهل بيته، عليّ وبنوه عليهم السلام، وهم الخلفاء الاثنا عشر، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، إذا ذهبوا ماجت الأرض بأهلها.

ثم إن هذا المعنى من الحاكمية المستمرة لله تعالى في الأرض يلتقي مع مقولة الخضر لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[1]، أي أن هذه الأفعال التي قمت بها ليست بمحض إرادتي، بل هي بأمر من الله تعالى، وإجراء لحاكميته.

وعلى هذا الأساس نقول: إن خليفة الله في الأرض، القائم بهذا الدور في هذا العصر، هو الإمام المهدي عجل الله فرجه، فهو الذي يقوم بتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، ولكن في الخفاء، لأجل الحكمة والأسباب التي اقتضت ذلك، إلى أن يأتي أمر الله سبحانه بالظهور، وإقامة دولة العدل والقسط، فيكون الحق معلناً، والباطل ضامراً خاسئاً.

وقد جاء ذكر ذلك الدور الفاعل للإمام المهدي عجل الله فرجه في عصر الغيبة في كثير من الروايات على لسانه عليه السلام، منها قوله عليه السلام: «فإنا نحيط علماً

---

(١) الكهف: ٨٢

بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم»[١]، وقوله عليه السلام: «إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء، اتقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم من فتنة، قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله، ويحمى عنها من أدرك أمله»[٢].

دور الإمام عجل الله فرجه في درء الفساد

من الأدوار الأساسية التي يقوم بها خليفة الله في الأرض، هو منع البشرية من الانحدار في الهاوية، ودرء خطر استئصالها، والإبادة التامة والشاملة لها، سواء كان ذلك نتيجة للحروب، أم لتفشي الظلم والجور والفساد، وانتشار الأمراض والأوبئة وغيرها من الأمور التي تهدد البشرية بالانقراض.

وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم، عند ذكره لاعتراض الملائكة، في معرض تعريفه للخليفة، وذلك في قوله تعالى - حكاية عن الملائكة: ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣]. فالملائكة افترضت أن خليفة الله لا يفسد، ولا يسفك الدماء، بل هو الذي يقف حائلاً أمام ذلك، وقد أقرّهم الله تبارك وتعالى على ذلك، وأجابهم من جهة أخرى، حيث قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص ٣٢٣، الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج٢ ص٩٠٢.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص ٣٢٣.

(٣) البقرة: ٣٠.

إذن أوّل دور من الأدوار الأساسية التي يقوم بها خليفة الله في الأرض، هو درء الفساد، وممانعة سفك الدماءأوهذا ما يلتقي مع التصريحات الكثيرة للنبي صلى الله عليه وآله في هذا المجال، كقوله صلى الله عليه وآله: «لا تخلوا الأرض من حجة» وقوله صلى الله عليه وآله: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» وغير ذلك من التصريحات النبويّة، التي تؤكد على أن من بين الأدوار الأساسية للخلفاء حفظ البشرية من الهلاك، ومنع وقوعها في الفساد.

ثم إنّ السؤال الأساس يقع عمّا هو المراد بالفساد؟ وهل يشمل كل فساد ولو كان جزئياً ؟

وفي مقام الإجابة عن ذلك نقول: ليس المراد من الفساد ما يشمل الفساد الجزئي والمقطعي، وذلك بمقتضى اعتراف الملائكة، حيث إنهم لم يعترضوا على الفساد القليل؛ لأن الفساد القليل يقابله الخير الكثير، فاعتراض الملائكة إنما كان على الفساد المطبق، والشامل للأرض ومن عليها المستأصل للبشرية، والموجب لاجتثاثها وهلاكها.

فدور الخليفة إذاً لا يقتصر على فئة معينة من الناس، أو على المسلمين فحسب، وإنما هو شامل لكل البشرية، لذا قال تعالى شأنه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾، وكذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تخلو الأرض من حجة»[1] وقوله: «إذا

(١) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦ ح ١٧٩٤؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص٣٤ ح٣٣٨٦١؛ وانظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥؛ وانظر تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦؛ وانظر ينابيع المودة، القندوزي الحنفي:ج١ ص٨٩؛ وانظر المناقب، الخوارزمي: ص٣٦٦.

هلكوا ماجت الأرض بأهلها»، وقوله: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»، فلم يقل هلك أو ذهب المسلمون خاصة، أو ماجت الأرض بهم.

فالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف الذي هو خليفة الله في الأرض، يمارس دوراً كبيراً في حياة البشرية، وإن لم يتقلد الحكومة الرسمية الظاهرة، فهو عجل الله فرجه الشريف كما هو الحال في الخضر عليه السلام، الذي هو وليّ من أولياء الله تعالى، وعبد من عباده، قلّده مناصب عالية وحكومة رائدة، يديرها بالسر والخفاء.

فقصّة الخضر عليه السلام - الذي هو عبد من مجموعة عباد جعلهم الله أوتاداً للأرض - ذكرها الله عزّ وجلّ في قرآنه الخالد، عظة وعبرة لنا، وليست هي مجرد قصة خيالية لا واقع لها، وإنما الغاية من هذه القصّة هي الاعتقاد بوجود أولياء وحجج لله تعالى، يقومون بمهام إلهية، ويديرون دفّة الحكم الإلهي في الأرض.

إذن ليست الغيبة بمعنى التعطيل والجمود، كما قد يتخيلها البعض.

إذن فالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف له دور كبير في فترة غيبته.

أضف إلى ذلك كله، أن هناك أعمالاً وأفعالاً أوكل الإمام عليه السلام مهمّة القيام بها إلى من قلّدهم النيابة العامة في زمن الغيبة، وهم العلماء والفقهاء العدول، ليكونوا بذلك ممثلين له عليه السلام، ينوبون عنه في بعض المهام التي أوكلت إليهم، كما ورد ذلك عنه عليه السلام، حيث قال: «وأمّا الحوادث الواقعة

فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم»[١].

وقد أشار باقي الأئمة عليهم السلام أيضاً إلى هذا الدور المهم للعلماء في عصر الغيبة الكبرى ـ فمثلاً ـ ما عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: «لو لا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه، والذّابين عن دينه بحجج الله، المنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلاّ أرتد عن دينه، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله»[٢].

ونقتصر في هذا المجال على ما أفاده الشيخ المفيد رحمه الله، حيث قال بعد تعرضه لبعض مهام الغيبة: «ولا يحتاج هو عليه السلام إلى تولي ذلك بنفسه، كما كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام تظهر بأتباعهم والمقرّين بحقهم، وينقطع العذر بها فيما ينأى عن ملتهم ومستقرهم، ولا يحتاجون إلى قطع المسافات لذلك بأنفسهم، وقد قامت أيضاً بأتباعهم بعد وفاتهم... وكذلك إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام، وقد يتولاها أمراء الأئمة، وعمالهم دونهم، كما كان يتولى ذلك أمراء الأنبياء عليهم السلام وولاتهم، ولا يخرجون هم إلى ذلك بأنفسهم، وكذلك القول في الجهاد، ألا ترى أنه يقوم به الولاة من قبل الأنبياء والأئمة دونهم، ويستغنون عن توليه بأنفسهم، فعُلم بما ذكرناه أن الذي أحوج إلى وجود الإمام، ومنع من عدمه، ما أختص به من حفظ الشرع، الذي لا يجوز ائتمان غيره عليه، ومراعاة الخلق في أداء ما كلفوه

---

(١) الغيبة، الطوسي: ص٢٩١؛ الاحتجاج: الطبرسي: ج٢ ص٢٨٣؛ الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج٣ ص١١١٤.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص٢٦٠.

من أدائه»[١].

والحاصل: إن للإمام عجل الله فرجه طوراً آخر من أطوار الإدارة والحكم في زمن الغيبة، وأما تنفيذ الكثير من الأمور التي تحتاج إلى إجراء بحسب ما هو الظاهر والمعلن، فقد أوكل ذلك عليه السلام إلى العلماء والفقهاء.

خلفيات وفوائد أخرى للغيبة

أولا: حفظ شخصية الإمام عجل الله فرجه

من أهم فوائد غيبة الإمام عجل الله فرجه هي حفظ شخصيته عجل الله فرجه من القتل والاغتيال؛ لأن هذه الأمة الإسلامية لا تعدو خطى الأمم السابقة، كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن هذه الأمة ستتبع خطى الأمم السالفة، حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة، وقد وقعت الغيبة لكل من إدريس وصالح وإبراهيم ويوسف عليهم السلام، وقد اضطّر موسى عليه السلام إلى الهرب من قومه ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[٢]، وكذلك رفع الله عيسى عليه السلام، عندما أراد بنو إسرائيل قتله، قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٣] كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحتجب عن قومه في غار حراء فترة مديدة من الزمن، وقد اضطر للاعتزال عنهم في الشعب ثلاث سنين، وأخرج أحمد بن حنبل عن عكرمة قوله: مكث النبي صلى الله عليه وآله خمس عشرة سنة، منها أربع أو

---

(١) مسائل عشر، الشيخ المفيد: ص١٠٦-١٠٧.

(٢) الشعراء: ٢١.

(٣) النساء: ١٥٨.

خمس يدعو إلى الإسلام سراً وهو خائف[١].

فإذا كانت غيبة واحتجاب أولئك الأنبياء عليهم السلام لا تضر، ولا تقدح في نبوتهم وبعثتهم للأمم، بل يعد ذلك من الأساليب المهمة في سبيل انجاز وتحقيق الغاية، لاسيما وأنه امتثال لمشيئة الله تعالى وإرادته، كذلك ما نجده في غيبة الإمام المهدي عليه السلام، إذ أن غيبته كغيبتهم عليهم السلام، وظروفه كظروفهم، من متابعته ومحاولة قتله والقضاء عليه، بل ما نجده في حياة الإمام المهدي عليه السلام من الظروف التي تستدعي الغيبة كثيرة جداً، وفي غاية الوضوح، حيث كانت السلطات العباسية تسعى حثيثاً للقبض عليه وقتله، كما نصّ على ذلك المؤرخون والمحدثون:

منهم: ابن الصباغ المالكي، حيث قال: «خلّف أبو محمد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده، وستر أمره، لصعوبة الوقت، وشدة طلب السلطان، وتطلّبه للشيعة، وحبسهم، والقبض عليهم»[٢].

ومنهم: ابن أبي الفتح الأربلي في كتابه «كشف الغمة»، وعبارته قريبة من عبارة ابن الصباغ المتقدمة، وينقل بالإضافة إلى ذلك رواية أحمد بن عبيد الله بن خاقان، والي الضياع والخراج بقم، وجاء فيها: «وخرجنا وهو على تلك الحال، والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علي اليوم، وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً، والشيعة مقيمون على أنه مات وخلّف ولداً، يقوم مقامه بالإمامة»[٣]

---

(١) كتاب العلل، أحمد بن حنبل: ج٢ ص٥٩٠ ج٣ ص٤٢٦، وكذا في الدر المنثور. السيوطي ج٥: ص١٠٢، المصنف: الصنعاني ج٥ ص٣٦١.

(٢) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ص١٠٩١.

(٣) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٢٠٥.

وغيرهم كثير، فراجع.

وهذا السبب وإن كان غير مختص به دون آبائه عليهم السلام، حيث تعرضوا للمطاردة والقتل والاغتيال؛ إلاّ أن السبب الأساس الذي يقف وراء اختصاص الإمام المهدي بالغيبة دونهم عليهم السلام، هو أنه عليه السلام مكلف بإقامة الدولة الإسلامية العالمية، وعلى يديه يحقق الله تعالى العدل والقسط على هذه الأرض، وبواسطته يُظهر الله عزّ وجلّ الإسلام على الدين كلّه ولو كره المشركون، فلا بد من المحافظة على وجوده المبارك لإنجاز هذه المهمة التي جعلها الله تعالى الغاية الأساسية من بعثة الأنبياء والرسل.

ولا تعني غيبته واختفاؤه عجل الله تعالى فرجه الشريف انتفاء إمامته، أو تخلّيه عن المسؤوليات المُناطة به، بل هو الحجة القائمة لله على خلقه، ولكن ستره الله تعالى عن خلقه خوفاً على حياته من الظالمين، كما صرح بذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام، حيث قال: «**اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة، إما ظاهر مشهور، وإما خائف مغمور، لأن لا تبطل حجج الله، وبيّناته**»[1]، وخائف مغمور أي خائف مختف، وقد بيّنا سابقاً أن الغيبة لا تعني أنه ناء وبعيد وعديم الدور في الأمّة، وإنما الغيبة هي إدارة الأمور والعمل بالخفاء.

ومعنى الخوف من القتل ليس ما يتبادر إلى الأذهان الساذجة، من المعاني الأوّلية للخوف، لأن هذا النوع من الخوف غير متصور في أولياء

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥، وانظر تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦، وانظر كنز العمال: ج ١٠ ص٢٦٣ - ٢٦٤ «أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف والمرهبي في العلم ونصر في الحجة»، المعيار والموازنة، الإسكافي: ص٨١؛ مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص٩٦؛ دستور معالم الحكم: ابن سلامة: ص٨٤؛ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج١: ص٨٩

الله تعالى وحججه الذين يأنسون بالموت ولقاء الله عزّ وجلّ، وإنما المقصود من خوف القتل هنا هو الخوف على ضياع الغرض والهدف الإلهي الذي أُنيط به عليه السلام، حيث أن مسؤوليته عليه السلام جسيمة وعظيمة تشبه مسؤولية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، الذي صدع بأمر الله تعالى، لنشر الدين على وجه الأرض، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هو رجل من عترتي، يقاتل على سنتي، كما قاتلت أنا على الوحي»[1].

فالخوف المقصود إنما هو الخوف من استئصال الحجج الإلهية على الخلق، كما ورد ذلك في الروايات متضافراً:

منها: ما جاء عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، قال: «قلت ولم؟ قال: يخاف، وأومأ إلى بطنه، ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر...»[2].

ومنها: ما عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: «للقائم غيبة قبل قيامه» قلت: - أي زرارة - ولِمَ؟ قال: يخاف على نفسه الذبح»[3].

ومنها: ما جاء عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «في صاحب هذا الأمر أربعة، من سنن أربعة أنبياء... فأما من موسى: فخائف يترقب»[4].

---

(١) كتاب الفتن، المروزي: ص٢٢٩؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٣ ص٢٦٣.

(٢) الكافي، الكليني: ج١ ص٣٣٧؛ تاريخ آل زرارة، أبو غالب الزراري: ج١: ص٢١؛ كمال الدين، الشيخ الصدوق: ص٣٤٦؛ الغيبة: النعماني: ص١٧٧.

(٣) كمال الدين تمام النعمة، الصدوق: ص٤٨١.

(٤) الإمامة والتبصرة: ص ٩٤، كمال الدين، الصدوق: ص٢٨؛ دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري: ص٤٧٠؛ كتاب الغيبة، الطوسي: ص٤٢٤.

ومنها: ما عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قام القائم عجل الله فرجه قال: ففررت منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربي حكماً...»[١].

ومنها: ما جاء في كشف الغمة للأربلي، عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «في القائم منا سنن من الأنبياء، سنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد|... وأما من موسى فالخوف، والغيبة...»[٢].

وكذلك في كشف الغمة، في حديث محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قدام القائم بلوى من الله، قلت: وما هو جعلت فداك؟ فقرأ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٣]، ثم قال: الخوف من ملوك بني فلان، والجوع من غلاء الأسعار، ونقص الأموال من كساد التجارات، وقلّة الفضل فيها، ونقص الأنفس بالموت الذريع، ونقص الثمرات بقلّة ريع الزرع، وقلّة بركة الثمار، ثم قال: وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم عجل الله فرجه»[٤].

ثانيا: التمحيص

معنى التمحيص: هو التطهير مع شدّة الاختبار، لأنّ مادة (محص) تدلّ على الخلوص، والتطهير من كل عيب، كما يقال محّص الذهب بالنار، أي خلّصه مما يشوبه.

---

(١) الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني: ص١٧٤.
(٢) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٣٢٩، إكمال الدين وإتمام النعمة، الصدوق: ص٣٢٢.
(٣) البقرة: ١٥٥.
(٤) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٢٦٠.

وعلى ضوء ذلك كان التمحيص والابتلاء والاختبار سنة إلهيّة رافقت البشرية منذ بداية خلقها، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[١].

وكذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٣]، فمن خلال التمحيص يتعين مركز الفرد وواقعه تجاه عقيدته وإيمانه، استقامة أو انحرافاً، كما يكشف التمحيص عن عناصر القوة والضعف في نفسية الإنسان، فهو طريق لاستكمال النفوس ورقيها، فإذا ورد التمحيص على جماعة من الناس فإنّه يقتضي امتياز المؤمنين من المنافقين.

وتتضاعف أهمية التمحيص في عصر الغيبة فيما إذا اقترن بالإعداد ليوم الظهور، لتحمل المسؤولية، والمشاركة في إنقاذ العالم من الظلم والجور الذي يفترض فيه وجود عدد كاف ممحص ومطهر من شوائب الكفر والشرك والنفاق، ليكونوا من المخلصين الذين لهم شرف المشاركة في الدولة الكريمة العادلة بقيادة الإمام المهدي عليه السلام.

ومن هذا المنطلق نعرف أهمية التمحيص والاختبار الذي أشارت إليه الروايات بكثافة.

ومما يشهد على أهمية التمحيص ودوره في تمييز الخبيث من الطيب،

---

(١) آل عمران: ١٧٩.

(٢) آل عمران: ١٤١.

(٣) آل عمران ١٥٤.

ما لمسناه واضحاً من الردّة والانقلاب على الأعقاب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث وجدنا أنّ الكثير ممن رافقوا رسول الله صلى الله عليه وآله لم يصمدوا أمام غربال التمحيص والاختبار، بل انحرفوا عمّا رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله في وصاياه الكثيرة والمتعددة في شأن الإمامة والخلافة، فضلاً عما صرّح به القرآن الكريم في هذا الشأن، وهذا يدل على أن كثيراً من هؤلاء الأصحاب لم يكونوا ممحصين، ولا قادرين على تحمل المسؤولية.

ومن هنا نفهم سرّ عدم جعل الأئمة عليهم السلام الكفاح العسكري المسلح هو الخيار والحل الوحيد لإقامة الحق والعدل؛ وذلك لأنهم لا يرون القيام بالعمل العسكري وحده كافياً للانتصار وإقامة دعائم الحكم الصالح، بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدي ممحص مطهّر مخلص يؤمن بالإمام وعصمته وحاكميته إيماناً مطلقاً، ويعي أهدافه الكبيرة، ويدعم تخطيطه الواسع.

وعلى هذا الأساس نجد أن من شرائط ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الأساسية هو ظهور عدد من الأصحاب والأنصار المخلصين للإسلام وللإمام عليه السلام القادرين على تحمل المسؤولية، وهذا لا يتحقق إلاّ من خلال مرور البشرية بالظروف القاسية والفتن الشديدة.

ومما ينبغي الإشارة إليه، هو أن التمحيص المقصود الذي من خلاله تتهيأ البشرية لليوم الموعود، هو تمحيص البشرية بشكل عام، وعلى طول امتدادها التاريخي، بالنحو الذي ينتج أفراداً مخلصين قادرين على تحمل المسؤولية في الدولة الكريمة.

أما روايات التمحيص والابتلاء في زمن الغيبة، وقبل قيام الإمام المهدي عجل الله فرجه فهي كثيرة جداً، وقد وردت في كتب الفريقين:

منها: رواية ابن عباس المتقدمة، عندما قال جابر لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربي، ليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين»[١].

ومنها: ما جاء على لسان الإمام علي عليه السلام، عندما قال للإمام الحسين عليه السلام: «التاسع من ولدك يا حُسين هو القائم بالحق، والمظهر للدين، والباسط للعدل، قال الحسين عليه السلام : فقلت: وإن ذلك لكائن؟ فقال عليه السلام: أي والذي بعث محمداً بالنبوّة، واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت على دينه إلاّ المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين اخذ الله ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه»[٢]، فالمخلصون بحسب هذه الرواية هم حاصل ذلك الابتلاء والتمحيص.

ومنها: ما جاء أيضاً عن الإمام علي عليه السلام، حيث قال للأصبغ بن نباته: «الحادي عشر من ولدي هو المهدي، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له حيرة وغيبة، يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون، فقلت: يا أمير المؤمنين وان هذا لكائن؟ فقال: نعم، كما أنه مخلوق، وأنى لك بالعلم بهذا الأمر يا أصبغ، أولئك خيار هذه الأمّة، مع أبرار هذه العترة»[٣].

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي: ج٣ ص٢٩٧ وص ٣٨٧، كشف الغمة: الأربلي: ج٣ ص٣٢٨.

(٢) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٣٢٨.

(٣) الإمامة والتبصرة، ابن بابوية القمي: ص ١٢١؛ الغيبة، النعماني: ص ٦١؛ كفاية الأثر، الخزاز القمي: ص ٢٢٠.

ومنها: ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[١]، قال: «هذا مولود في آخر الزمان، هو المهدي من هذه العترة، تكون له حيرة وغيبة، يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها أقوام»[٢].

ومنها: ما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أيضاً، قال: «والله لتميزنّ، والله لتمحصنّ، والله لتغربلنّ، كما يغربل الزؤان من القمح»[٣].

ومنها: ما ورد عنه أيضاً عليه السلام، قال: «هيهات هيهات، لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تمحصوا، هيهات ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم، حتى تميزوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تغربلوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم إلاّ بعد إياس، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقي، ويسعد من سعد»[٤].

ومنها: ما ورد عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «والله لتُمحصنّ، والله لتطيرن يميناً وشمالاً، حتى لا يبقى منكم إلاّ كل امرئ أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان في قلبه، وأيده بروح منه»[٥].

ومنها: ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: «لا بد للناس أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا، وسيخرج من الغربال خلق كثير»[٦].

---

(١) التكوير: ١٥- ١٦.

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة، الصدوق: ص ٣٣٠، انظر: الغيبة، الطوسي: ص ٣٣٦.

(٣) الغيبة، الطوسي: ص ٣٤٠، الغيبة، النعماني: ص ٢٠٥.

(٤) الغيبة، النعماني: ص ٢٠٩.

(٥) المصدر نفسه: ص ٢٦.

(٦) المصدر نفسه: ص ٢١٢؛ دلائل الإمامة: ابن جرير الطبري (الشيعي): ص ٤٥٦؛ العدد القوية، العلامة الحلي: ص ٧٤؛ الكافي، الكليني: ج ١ ص ٣٧٠.

ومنها: ما جاء عنه أيضاً عليه السلام: «لتُمحصنّ يا شيعة آل محمد، تمحيص الكحل في العين»[١].

ومنها: كذلك ما ورد عنه عليه السلام قوله: «والله تكسرن تكسر الزجاج، وإن الزجاج ليعاد فيعود كما كان، والله لتكسرن تكسر الفخار وان الفخار ليتكسر فلا يعود كما كان، ووالله لتغربلن، والله لتميزن، والله لتمحصن حتى لا يبقى منكم إلا الأقل وصعّر كفه»[٢].

ومنها: ما ورد عنه أيضاً عليه السلام، قال: «والله لتمحصنّ، والله لتميزن، والله لتغربلن، حتى لا يبقى منكم إلاّ الأندر»[٣].

ومنها: ما عن صفوان بن يحيى، قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا، وحتى لا يبقى منكم إلاّ الأندر، فالأندر»[٤].

وأخيراً: يضرب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لنا مثلاً في ذلك، حيث يقول: «وسأضرب لكم مثلاً، وهو مثل رجل كان له طعام فنقّاه، وطيّبة ثم أدخله بيتاً، وتركه فيه ما شاء الله، ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصابه السوس، فأخرجه ونقّاه وطيّبه ثم أعاده إلى البيت، فتركه ما شاء الله، ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس، فأخرجه ونقّاه، وطيّبه، وأعاده، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة

---

(١) الغيبة، النعماني: ص٢٠٦؛ الغيبة، الطوسي: ص٣٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٠٧؛ المصدر نفسه: ص٣٤٠.

(٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج١ ص١٩٩؛ وانظر: الغيبة، النعماني: ص٢٠٨؛ وانظر: الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٣٣٧.

(٤) غيبة، النعماني: ص٢٠٨؛ الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٣٣٧؛ الخرائج والجرائح: الراوندي: ج٣ ص١١٧٠؛ انظر: تفسير العياشي: ج١ ص١٩٩.

كرزمة الأندر، لا يضره السوس شيئاً، وكذلك أنتم تُميزون، حتى لا يبقى منكم إلاّ عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً»[١]، وبنفس المضمون ما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام[٢].

وكذلك ما جاء أيضاً على لسان حكيمة عمّة الإمام عليه السلام، عندما قالت لمحمد بن عبد الله المطهري: «لا بد للأمّة من حيرة، يرتاب فيها المبطلون، ويخلص فيها المُحقّون، كيلا يكون للناس على الله حجة»[٣].

هذا مضافاً إلى روايات الفتن، والابتلاء في آخر الزمان التي نقلها الفريقان بنحو التواتر، والتي لا يخلو منها كتاب واحد من كتب الحديث، بل عُقدت لروايات الفتن في آخر الزمان كتب وأبواب خاصّة، وهذا يكشف عن أهمية التمحيص والغربلة في عصر الغيبة لمعرفة وتمييز المخلصين الصالحين للقيام بشؤون الدولة العالمية، تحت راية الإمام المهدي عليه السلام عن غيرهم، ومن تلك الروايات:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح فيها الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافرا...»[٤].

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «... ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحداً من هذه الأمة إلاّ

---

(١) الغيبة، النعماني: ص٢١٠.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٤٢٦.

(٣) المصدر نفسه: ص٤٢٦.

(٤) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٤ ص٢٧٧، البداية والنهاية، ابن كثير ج٨ ص٢٦٧؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٤ ص٢٢٩؛ النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي: ج١ ص٥٩؛ سنن أبي داود، السجستاني: كتاب الفتن، ص٧٠٨ ح٤٢٥٣؛ سنن الترمذي، الترمذي: كتاب الفتن؛ باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة:ص٢٣٠، ح٢٢٩٣؛ كما أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب التثبيت في الفتنة:ص١٣١٠، ح٣٩٦١.

لطمته، حتى إذا قيل انقضت عادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً حتى يصير الناس فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»[١].

٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل؛ المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر - أو قال - على الشوك»[٢].

ثالثا: انكشاف عجز وبطلان الأطروحات الأخرى

لا ريب أن الغيبة تساهم في إثبات عجز أو فشل المدارس والأطروحات الأخرى التي تدعي تحقيق السعادة والعدل والكمال المنشود للمجتمع البشري، وهذا بدوره يكون دافعاً للمجتمع عموماً للتفاعل الإيجابي مع المهمّة الإصلاحية الكبرى للإمام المهدي عليه السلام.

ومن ثم يزيل العقبات التي تمنع عن حصول هذا التفاعل المطلوب، لتحقيق الأهداف الإلهية، التي يقوم بإنجازها الإمام عليه السلام.

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي: ج١ ص٦١؛ وكذا لاحظ: سنن أبي داود؛ كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي: ج٢ ص٢٢٩، ح٤٣٤٢؛ تهذيب الكمال، المزي: ج٢٢ ص٥٢٧؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٢ ص١٣٣ باختلاف في اللفظ؛ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٤ ص٤٦٧.

(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٢: ص٣٩٠؛ النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي: ج١ ص٥٥ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ج٧٠ ص٣٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٢ ص٦٢٣، ج٨ ص٢٨؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١١: ص١٥٨؛ انظر صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قصة يأجوج ومأجوج: ج٢ ص٣٤٧ ح٣٣٤٦؛ وانظر صحيح مسلم؛ كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج: ص٢٢٠٧ ح٢٢٨٠.

إذن فالغيبة تفسح المجال لكي يتضح بطلان كل ما يرفع من شعارات مُزيّفة ومُغرضة، مهما كان مصدرها، سواء أكانت من المدارس المادّية أم من مدارس ذات أصول سماوية منحرفة، وبذلك يتبين فشل كل ما يرفع من الشعارات التي نراها براقة في يومنا هذا، كأطروحة العدالة العالمية، ومحاربة الإرهاب، ومنظمة حقوق الإنسان وغيرها، ومن ثم تسقط مصداقيتها لدى الناس، وينكشف زيفها وكذبها، وتتضح سياساتها العنصرية ونواياها السيئة، وكذا يتضح عجز العقل البشري عن تلبية ما تطمح إليه الفطرة البشرية من السعادة الكاملة، وإقامة العدل على هذه الأرض.

وهذا بدوره يشكل عاملاً مهمّاً في نجاح الأطروحة الإلهية على يد الإمام المهدي عليه السلام، بإقامة دولته العالمية، وتفاعل الناس معه.

ولعل روايات الفتنة والتمحيص المتقدمة تشير إلى ذلك، وتؤكد على عجز الإنتاج البشري عن تقديم ما تطمح إليه البشرية من العدل، ورفاهية العيش والأمن في هذه الدنيا.

رابعا: تجلي مفهوم الانتظار في أحضان الغيبة

إنّ إحساس الفرد المؤمن بوجود الإمام عليه السلام، واطّلاعه عن كثب على أوضاع المجتمع عموماً، يساهم في حصول الاطمئنان والثبات النفسي عند المؤمنين، وبذلك تزداد صلتهم بالإمام عليه السلام، ويتغلغل إيمانهم به وبعقيدته إلى داخل أعماقهم، ومن ثم تكون عقيدتهم بإمامهم عقيدة راسخة، وهو معنى الانتظار الذي يعد من الركائز الأساسية التي اهتم بها القرآن الكريم

والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، في عملية إعداد الفرد والمجتمع قال تعالى: ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[١].

وقد أولى النبي صلى الله عليه وآله عناية خاصة بمفهوم الانتظار، وهذا ما نجده واضحاً من خلال كثافة الروايات الواردة في هذا السياق، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «أفضل العبادة انتظار الفرج»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «انتظار الفرج بالصبر عبادة»[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله قال:. «أحب الأعمال إلى الله انتظار الفرج»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله «انتظار الفرج من الله عبادة»[٥].

وقال صلى الله عليه وآله «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»[٦].

وقوله صلى الله عليه وآله «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»[٧].

وقال صلى الله عليه وآله: «أفضل العبادة انتظار الفرج، أي انتظار الفرج بظهور المهدي»[٨].

---

(١) الأعراف: ٧١.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٢٢٦، مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص١٤٧، الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص١٩٢؛ المعجم الكبير للطبراني: ج١٠ ص١٠١، المعجم الأوسط للطبراني: ج٥ ص٢٣٠.

(٣) الجامع الصغير: الطبراني: ج١ ص٤١٧؛ لسان الميزان، ابن حجر: ج٤ ص٣٦٢، مسند ابن سلامة: ج١ ص٦٢.

(٤) دستور معالم الحكم، ابن سلامة: ص١٠٣.

(٥) الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص٤١٧.

(٦) الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي: ج١ ص٢٧؛ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ج٣ ص٥٢٧.

(٧) تحف العقول، ابن شعبة: ص٣٧.

(٨) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٣٩٧؛ لسان الميزان، ابن حجر: ج٣ ص٩٣.

فالانتظار يمثل عنصر التوازن في حياة المؤمن وحالة وسطى بين القنوط واليأس من روح الله، وبين حرمة الأمن من مكر الله، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ومن خلال الانتظار يتوجه الإنسان إلى ربه، ويتمسك بإمامه، ويطلب الفرج من الله تعالى، وهذا ما كشف النقاب عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، بقوله: «أفضل العبادة انتظار الفرج»[2].

كذلك نجد أن الانتظار في واحدة من أبعاده هو الإيمان بالغيب، ومن ثم يحمل الفرد على العمل والتعبد بعقيدته، ويكون محبّاً للعدل كارهاً للظلم، وبذلك يوجّه نفسه، وسائر إخوانه المؤمنين إلى ما فيه الخير والصلاح للمجتمع.

وكذلك نجد أيضاً أن الانتظار يحمل في طياته دفع المؤمن وحثّه على الامتثال والالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية، ليكون فرداً صالحاً مؤهلاً للعضوية في مجتمع العدالة الكبرى، ومن ثم يكتسب المؤمن الإرادة القوية، والإخلاص الحقيقي الذي يؤهّله للمشاركة والتشرف بتحمل المسؤولية الكبيرة في اليوم الموعود، فيزداد تعلقه بالأنبياء ورسالاتهم، وتجديد العهد معهم، ومع الإمام عليه السلام الذي يحقق هدف الأنبياء على هذه الأرض، وكل هذا إنما يتجلى وتشتعل جذوته إذا أحس الإنسان بوجود المصلح حياً يرزق قد حفظه الله تعالى وادخره لإنجاز

---

(١) يوسف: ٨٧

(٢) سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٢٢٦، مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص١٤٧، الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص١٩٢؛ المعجم الأوسط، الطبراني: ج٥ ص٢٣٠.

مهمّة الإصلاح.

خامسا: عدم انقطاع سلسلة حجج الله في الأرض

إنّ الغيبة من الوسائل المهمة للحفاظ على وجود الحجّة الإلهية في الأرض، وعدم خلوّها من تلك الحجة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تخلو الأرض من قائم بحجة**»[١].

ولا يخفى الأثر المهم والدور الأساس لوجود حجة الله في الأرض، من كونها أماناً لأهل الأرض، كما قال صلى الله عليه وآله: «**النجوم أمان لأهل السماء، إذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض**»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «**لن يزال الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها**»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «**إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال**»[٤].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٨٩؛ المناقب، الخوارزمي: ص٣٦٦، وانظر تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦.

(٢) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ج٢ ص١٦٥؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٧١ وح٢ ص١١٤؛ ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ص١٧؛ ونحوه في المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٢ ص٤٤٨ ج٣ ص١٤٩ ص٤٥٧؛ جواهر المطالب: ابن الدمشقي الشافعي: ج١ ص٣٤٣.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني ج:٢ ص١٩٦؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص٣٤.

(٤) المعجم الكبير، الطبراني: ج٣ ص٤٥، ح٢٦٣٦؛ مسند ابن سلامة: ج٢ ص٢٧٣.

وقال صلى الله عليه وآله: «النجوم جعلت أماناً لأهل السماء، وإن أهل بيتي أمان لأمتي»[١].

وقال صلى الله عليه وآله: «كيف تهلك أمّة أنا أوّلها، وعيسى بن مريم آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها»[٢].

مضافاً إلى أن غيبة الإمام عليه السلام تؤمّن إتيانه بالإسلام الخالص، كما أنزله الله تعالى حين الظهور؛ لأنه سوف يكون وارثاً عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله الإسلام الصحيح، وتفاصيله التي أملاها الرسول صلى الله عليه وآله على الإمام علي عليه السلام وكتبها بخطه.

بخلاف ما لو قلنا إنّ المهدي عليه السلام لم يولد بعد، فإنه حينئذ كيف يمكنه الإتيان بالإسلام الخالص بعد انقطاع الوحي، وكيف يحرز الإسلام الصحيح وسط هذه الاختلافات بين المذاهب، وبعد تضييع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

أضف إلى ذلك أن وجود الحجة والإمام في الأرض لطفٌ من الله تعالى - كما تقدم- وإتمامٌ للحجة البالغة على خلقه، أمّا الغيبة فهي لأسباب وظروف اقتضت ذلك، وقد تقدم ذكر بعضها.

سادساً: لكي لا تكون في عنقه بيعة لظالم

وهذا من معطيات الغيبة أيضاً؛ لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام كلّهم أُجبروا وأُكرهوا على البيعة للحكام الظالمين، ابتداءً من الإمام علي عليه السلام إلى

---

(١) المعجم الكبير: ج٧ ص٢٢.

(٢) الدر المنثور: ج٢ ص٧٤٢؛ الجامع الصغير السيوطي: ج٢ ص٤٢٣؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٧ ص٥٢٢، ونحوها في المستدرك: الحاكم النيسابوري: ج٣ ص٤١؛ قال فيه (حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، فيض القدير: ج٥ ص٣٨٣.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

والبيعة من الإمام المعصوم تعني إعطاء عهد يطوق به عنقه ويكبله ويقضي بعدم محاربة الظالم في حال لزومها.

وهذا قضاء إلهي لآباء الإمام المهدي عجل الله فرجه بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كما قال هو عليه السلام: «... وأما علّة ما وقع من الغيبة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1]، إنه لم يكن أحد من آبائي إلاّ وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي»[2].

فالإمام المهدي عليه السلام لكونه معدّاً سلفاً من قبل الله تعالى، ومرصوداً لإبادة الظلم والظالمين، فإذا كانت في عنقه بيعة، فكيف يقاتلهم؟

وإذا بادرهم بالقتال بدل الغيبة مع عدم توفر شرائط القيام والمواجهة مع الطواغيت، فسيؤدي ذلك إلى عدم الوصول لهدفه المرصود له، ولذا وردت الروايات من الفريقين تقرر هذا المعنى:

١ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»[3].

٢- ما أخرجه الأربلي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال: «أما علمتم أنه ما منا أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلاّ الإمام القائم، الذي يصلي روح

---

(١) المائدة: ١٠١.

(٢) الغيبة، الطوسي: ص٢٩٢؛ كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٣٤٠.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٣٠٣.

الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فان الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه؛ لئلا يكون في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين، ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته...»[١].

٣ـ ما أخرجه أيضاً عن الإمام الحسين عليه السلام: «القائم منا، يخفى عن الناس ولادته، حتى يقولوا لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»[٢].

٤ـ عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «القائم منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»[٣].

٥ـ عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «يقوم القائم وليس لأحد في عنقه بيعة»[٤].

٦ـ عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي، كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: ولِمَ ذاك يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: لأن إمامهم يغيب عنهم، فقلت ولِمَ؟ قال عليه السلام: لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»[٥].

مضافاً إلى أن وجود الإمام عليه السلام، مع غيبته له الأثر البالغ في إثارة الخوف والرعب في صفوف الظالمين، وهذا ما نلمسه ونشاهده بالوجدان

---

(١) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص ٣٢٨-٣٢٩.
(٢) المصدر نفسه: ج٣ ص ٣٢٩.
(٣) المصدر نفسه: ج٣ ص ٣٢٣.
(٤) الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمي: ص١١٦؛ الكافي، الكليني: ج١ ص٣٤٢.
(٥) علل الشرائع، الصدوق: ج١ ص٢٤٥، عيون أخبار الرضا، الصدوق: ج٢ ص٢٤٧، بحار الأنوار: ج٥١ ص١٥٢.

في تصريحات كبار المسؤولين في دول العالم كأمريكا وغيرها من دول الغرب، من تخوفهم من ظهور رجل من حضارة بابل يقضي عليهم، لذا نجد أنهم حشّدوا قواهم لمواجهته.

سابعا: الغيبة سر الهي

في البداية نقول: ما كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حان وقته، ولا كل ما حان وقته حضر أهله.

ومن هنا ينبغي علينا عدم إغفال الجانب الغيبي في الدين، إذ أن الكثير من الأمور لم يطلعنا الله تعالى على حكمتها والغاية منها، فليس كل ما يفعله الله تعالى نستطيع أن نعرف وجه الحكمة من ورائه، وإلاّ فما هي الحكمة في حياة نبيّين رفعهما الله تعالى إليه ؟ وما الحكمة من حياة نبيّين يسيران في الأرض؟ وما الحكمة من نزول عيسى عليه السلام مع المهدي عليه السلام؟ ولماذا لا يخبرنا القرآن بذلك ؟

فالغيبة سرّ على حدّ أسرار الغيب، التي لا يكشفها الله تعالى إلاّ لمن ارتضى من أوليائه، ويبقى الأمر الذي خفيت الحكمة من ورائه مثاراً للتعجب والاستغراب، فهذا موسى عليه السلام، وهو نبي من أنبياء الله تعالى، كان يظهر التعجب من عمل الخضر عليه السلام، فكيف بمن هو مثلنا، نحن القاصرون عن إدراك كنه الحقائق، ثم نأتي لنجادل فيها ؟!

هذا وقد تضافرت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في أن للغيبة حكمة لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ومن ارتضى من أوليائه.

فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها، فسأله

سدير: ولِمَ ذاك يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ أبى إلاّ أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وأنه لا بد له يا سدير من استيفاء عدد غيباتهم، قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1]»[2].

ثم إنّه مع الإيمان بضرورة الإمامة، والاعتقاد بأئمة أهل البيت عليهم السلام، بمقتضى الأدلّة الثابتة في محلّها، من الآيات والأحاديث، لا يبقى مجال للتساؤل، والتشكيك في وجود الإمام؛ لكونه غائباً.

فلعلّ في عدم الوقوف على العلّة الأساسية من الغيبة، سر من أسرار غيب الله تعالى، لم يطلعنا عليه، لا سيما مع إنباء وتصريح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بغيبة الإمام المهدي عليه السلام، كما مرّ ذكره في رواية جابر، ورواية ابن عباس وغيرها، وفي رواية أخرى لجابر: قال: قال رسول الله: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة، تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، فيملؤها عدلاً، كما ملئت جوراً»[3].

وذلك فضلاً عن الروايات المتواترة عن أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، التي جاء فيها ذكر الغيبة، وقد تقدم ذكر بعضها سابقاً.

وكذا تقدم في بعض الروايات عدم اشتراط كون الحجّة والإمام ظاهراً، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «اللّهم كلا! لا تخلوا الأرض من قائم بحق، إما ظاهر مشهور، وإما خائب[4] مغمور، لئلا يبطل حجج الله عزّ وجلّ،

(١) الانشقاق: ١٩.
(٢) علل الشرائع، الصدوق: ج١ ص٢٤٥؛ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص ٤٨٠-٤٨١.
(٣) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٣٢٧؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٣ ص٣٨٦.
(٤) ولعل الصحيح كما في كثير من المصادر «خائف».

وبيّناته»[١].

وعنه عليه السلام قال اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهر مستور وإما خائف مغمور لأن لا تبطل حجج الله وبيناته[٢].

هذا وقد تتضح الحكمة حينما يأتي الوقت المناسب لها، ولذا نجد أن الخضر عليه السلام يقول لموسى عليه السلام لو صبرت لا تضحت الحكمة.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٣].

إذن بعد أن قامت لدينا الأدلّة القاطعة على ضرورة وجود حجة الله في الأرض، وآمنا بأنّه الإمام المهدي الحجّة ابن الحسن العسكري، وأنّه مولود وقد طوّل الله عمره الشريف بحكمته، فإن النتيجة الحتمية هي الإيمان بغيبته الطويلة، فإن الإمام إمام قام أو قعد، غاب أو ظهر، وسواء اطّلعنا على سرّ من أسرار غيبته أم لم نطلع، ولا غرابة في ذلك بعد أن كانت حياة الأمّة وحركة البشرية حافلة بالأمور التي خفيت علينا أسبابها، وغابت عنا حكمتها.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٦، تاريخ مدينة دمشق: ج٥٠ ص٢٥٥، كنز العمال، المتقي الهندي: ج ١٠ ص٢٦٣، (أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف، والمرهبي في العلم، ونصر في الحجة)؛ المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي: ص٨١؛ مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص٢٧٥؛ دستور معالم الحكم، ابن سلامة: ص٨٤

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥، وانظر كنز العمال، المتقي الهندي: ج ١٠ ص٢٦٣، (أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف، والمرهبي في العلم، ونصر في الحجة)؛ مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص٢٧٥؛ وانظر دستور معالم الحكم، ابن سلامة: ص٨٤؛ وانظر ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٤٥٤.

(٣) المائدة: ١٠١.

دعوى المهدوية والسفارة

في خاتمة هذا البحث نود إلقاء الضوء على ظاهرة ادعاء المهدوية والسفارة عن الإمام المهدي عليه السلام كذباً وزوراً، مستغلين السذاجة والبساطة وغياب الوعي الديني الذي يعيشها بعض الناس، مستخدمين في ذلك شتى الوسائل الشيطانية من قبيل السحر والشعوذة وتسخير الجن ونحوها، مضافاً إلى ما يتلقاه هؤلاء المدعين للمهدوية والسفارة من دعم كبير من السياسات الاستعمارية، التي جهدت إلى بروز وانتشار هذه الدعوات.

مدعي المهدوية والسفارة في التاريخ الإسلامي

ذكر الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عدد ممن ادعوا النيابة والسفارة الخاصة للإمام المهدي عليه السلام كذباً، منهم:

١ـ الرجل المعروف بالشريعي

حيث قال:«كان الشريعي يكنى بأبي محمد... وكان من أصحاب الإمام أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن أهلاً له وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرأت منه، وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه... ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد»[1] وقد كانت دعوته تقتصر على السذج من الناس الذين لم يتسلحوا بالوعي الديني.

---

(١) الغيبة، الطوسي: ص٣٩٧.

٢ـ محمد بن نصير النميري

حيث قال الشيخ الطوسي:«كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام فلما توفي أبو محمد عليه السلام ادعى أنه صاحب إمام الزمان وادعى له البابية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل... وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم...»[١].

٣ـ أحمد بن هلال الكرخي

حيث كان من أصحاب أبي محمد عليه السلام فلما اجتمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان (رض) بنص الإمام الحسن عليه السلام في حياته، وبعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام قالت الشيعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه ينص عليه بالوكالة... فقالوا له قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، عند ذلك نفته الشيعة وتبرؤوا منه، ومن ثم لعنه وتبرأ منه الإمام صاحب الزمان عليه السلام في التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن»[٢].

٤ـ أبو طاهر محمد بن علي بن بلال

وله قصة معروفة حيث أنه تمسك بأموال الإمام عليه السلام التي كانت عنده وامتنع عن تسليمها، بذريعة أنه وكيل الإمام المهدي عليه السلام، ولذا تبرأت منه

---

(١) الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٣٩٨. ح٣٦٩ وح٣٧١.

(٢) المصدر نفسه.

الشيعة ولعنوه»[١].

٥ـ الحسين بن منصور الحلاج

وقد فضحه الله تعالى وأخزاه، وذلك عندما ادعى الوكالة والنيابة الخاصة للإمام المهدي عليه السلام كذباً.

٦ـ محمد بن علي بن أبي العزاقر المعروف بالشلمغاني

كان من أعلام الشيعة وألف كتباً في التشيع ولكنه لمناقشة جرت بينه وبين الحسين بن روح النوبختي أعلى الله مقامه الشريف النائب الثالث للإمام المهدي عليه السلام خرج عن طوره، وراح يدعي دعاوى باطلة ويدعي أخباراً كاذبة عن الإمام عليه السلام إلا أن الإمام عليه السلام لعنه في أحد توقيعاته ومن ثم ظهر أمره وشاع كذبه.

وغير ذلك كثيرون، إذ يصعب بل من المستحيل إحصاء عدد الذين ادعوا المهدوية أو النيابة الخاصة في التاريخ الإسلامي، وذلك لأن منهم من اقتصرت دعوته على عدد ضئيل من المغفلين ولم تحصل لهم قوة وشوكة، فبقيت أمانيهم وأحلامهم مدفونة في صدورهم، ولذا أغفل التاريخ ذكر أسمائهم ومدعياتهم.

الدليل على بطلان دعوى المهدوية والسفارة في عصر الغيبة الكبرى

هناك مدّاً استدلالياً واسعاً لإبطال دعوى المهدوية والسفارة للإمام المهدي في عصر الغيبة الكبرى، منها: قيام الإجماع على انقطاع النيابة

(١) المصدر السابق نفسه.

الخاصة للإمام المهدي عليه السلام، بل ضرورة المذهب على ذلك :

انقطاع السفارة والنيابة الخاصة للإمام المهدي من ضروريات مذهب الإمامية.

إنّ مسألة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة للإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى من ضروريات مذهب الشيعة الإمامية التي تعلو على البرهنة والاستدلال، ومن جملة ما ورد في ذلك التوقيع المبارك «بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك، فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم أمامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره؛ وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة إلا من ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

وقد روي الشيخ الطوسي: «إن كل من ادعى الأمر [أي أمر السفارة للإمام المهدي عليه السلام] بعد السمري [آخر السفراء الأربعة للإمام عليه السلام] رحمه الله فهو كافر منمس ضال مضل وبالله التوفيق»[2].

وقد تواترت الروايات على انقطاع النيابة الخاصة عن الإمام إلى حين حصول الصيحة السماوية التي هي من العلامات المحتومة لظهور الإمام عليه السلام، فقبل ظهور الصيحة لا نيابة خاصة ولا سفارة وكل من ادعى ذلك فهو كاذب مفتر.

---

(١) الغيبة، الطوسي: ٣٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤١٢.

والمقصود من ادعاء المشاهدة هو السفارة أو النيابة الخاصة في عصر الغيبة الكبرى.

الفهم الصحيح لعلامات الظهور

إنّ بعض علامات الظهور تمتاز بخصوصية معينة، وقد استغل أدعياء المهدوية والسفارة الخاصة هذه الخصوصية للحصول على مآربهم وأغراضهم.

عند إجراء مسح ميداني لعلامات الظهور نجد أن جملة منها تنطوي على لغة الرمز والإشارة التي تجعل إمكان تطبيق هذه العلامات على أكثر من مصداق وفي كل الأوقات، من قبيل ما أشار إليه الرسول ﷺ في أحاديث متظافرة أن المهدي لا يخرج إلا بعد انتشار الظلم والفساد.

ومن الواضح أن مثل هذه العلامة للظهور وهي انتشار الظلم والفساد نجدها تنطبق على كثير من الأزمنة إن لم نقل جميعها، وهذا ما نلمسه من الأسئلة الموجه لأهل البيت عليهم السلام وفي زمن حضورهم وقبل مولد الإمام المهدي عليه السلام حيث كان الناس يسألون الأئمة عليهم السلام بأن الظلم قد انتشر فأين المهدي الموعود، وغير ذلك من الاستفهامات.

وهذه الحالة وهي ملائمة بعض علامات الظهور لكل زمان استغلها المدعون للمهدوية في حملاتهم الدعائية للتأثير على الناس وإغرائهم بأن وقت الظهور بسبب انتشار الظلم والفساد في الأرض.

وعلى هذا الضوء يجب الالتفات إلى مثل هذه الأساليب التي يستغلها هؤلاء الدجالين لإضلال الناس وإغرائهم، لكي لا نكون فريسة سهلة

لمثل هذه الدعوات الضالة والمنحرفة التي تستهدف العمل على تشويه حركة الإمام عليه السلام.

الخلاصة

١- إنّ الله تعالى قد وعد في كتابه الكريم بإقامة العدل الإلهي في كل ربوع الأرض، كما في قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

٢- إنّ تحقق هذا الهدف يكون على يد الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، بمقتضى كونهم يمثلون امتداداً للرسالة المحمدية وأنهم المعصومون المطهرون كما نص على ذلك القرآن الكريم في عدد من الآيات كآية التطهير والمودة والمباهلة فضلاً عن السنة النبوية كحديث الغدير والثقلين وحديث الاثني عشر.

٣- شاءت الحكمة الإلهية أن يكون تحقق هذا الهدف بشكل طبيعي وليس إعجازياً، وهو ما جرت عليه السنن الإلهية في هذا العالم، إلا في الظروف الاستثنائية التي تتوقف على الإعجاز، وعلى هذا الضوء فلابد من اكتمال جميع الشرائط لكي يتحقق الهدف والغرض الإلهي.

٤- إن من أهم العوامل المساهمة في تحقيق واكتمال شرائط إقامة العدل هو غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فجاءت الغيبة ضمن تخطيط إلهي محكم، لكي تتولد شرائط وأجواء مهمة النهوض بالعدل العالمي في دولة

---

(١) القصص: ٥.

الإمام المهدي عجل الله فرجه، وقد أشارت لذلك نصوص نبوية وافرة.

٥- حيث إن استمرار ودوام الإمامة لطف إلهي، لحفظ الدين وعزته، وكذلك للحفاظ على الرسالة الإسلامية من الانحراف والاندراس؛ لأنهم عدل القرآن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطرهم تطهيراً، وهذا ما أكدته جملة من الروايات التي نصّت على ضرورة وجود الحجة في الأرض، لأنه لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها إلى جانب تأكيد النبي صلى الله عليه وآله على ضرورة التمسك بأهل البيت عليهم السلام وأنهم هم الأمان لأهل الأرض، فعلى هذا الأساس تمثل الغيبة لطف إلهي، لحفظ وجود الإمام من خلالها، وإلا يكون الإمام عرضة للقتل، وبالتالي لا يتحقق الهدف والغاية الإلهية من وجوده المبارك عليه السلام.

٦- إنّ هوية وحقيقة الغيبة هي خفاء العنوان واستتار الهوية وليس خفاء شخص الإمام عليه السلام وإن كان ذلك قد يحصل أيضاً إذا اقتضت الضرورة؛ وذلك لأن الغيبة حالة استثنائية يقتصر فيها على القدر الذي ترفع به الضرورة، وهو خفاء العنوان لا غير، وقد سلّطت الروايات الضوء على هذه الحقيقة، مشيرة في بعضها إلى أن غيبة الإمام عليه السلام كانت سنة شبيهة بغيبة بعض الأنبياء، كما هو الحال في غيبة موسى وعيسى عليهما السلام.

٧- أما الفائدة من الإمام الغائب فقد وردت روايات متضافرة في بيان فائدة الإمام في غيبته، من قبيل روايات الانتفاع بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها السحاب[1]، ونحوها وأخيراً ذكرنا إن من جملة فوائد وجود الإمام عليه السلام غائباً هو ممارسة دوره بشكل خفي.

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج١ ص٦٧ ج٣ ص٢٣٩ ص٣٩٩.

محاولات أهل السنة في تفسير حديث الخلفاء ١٢١
المحاولة الأولى: لابن العربي ١٢١
المحاولة الثانية: لابن المهلب ١٢٢
المحاولة الثالثة: للسيوطي ١٢٢
المحاولة الرابعة: لأبي الحسين ابن المنادي ١٢٣
المحاولة الخامسة: للقاضي عياض ١٢٣
المحاولة السادسة: لابن الجوزي ١٢٣
المحاولة السابعة: للبيهقي ١٢٤
التفسير الواقعي لحديث الاثني عشر ١٢٥
جملة من الشواهد على المراد الواقعي ١٢٦
الأمة لم تجتمع على أهل البيت عليهم السلام ١٤٧
الخلاصة ١٤٨

الفصل الثالث

غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

الشبهة: ما الفائدة من وجود إمام غائب ؟ وإنّ الحجة عند الشيعة لا تقوم إلاّ بإمام، فكيف يترك الإمامة ويغيب ؟ ١٥٣
الجواب ١٥٣
تمهيد ١٥٣
هوية الغيبة ١٦٠

دوام الإمامة واستمرارها لطف إلهي ١٦٠
لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها ١٦٢
الغَيبة لطف إلهي ١٦٤
حقيقة الغيبة: خفاء الهوية والعنوان لإخفاء الشخصية ١٦٥

ما الفائدة من الإمام الغائب ؟

إدارة الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ١٦٨
وجه التشابه بين الخضر عليه السلام والإمام المهدي عليهما السلام ١٧١
قصة الخضر ١٧١
خصائص الحكم الإلهي ١٧٥
١- دوام الحاكمية الإلهية ١٧٥
٢- شمولية الحاكمية الإلهية ١٧٧
دور الإمام عليه السلام في درء الفساد ١٨٠
خلفيات وفوائد أخرى للغيبة ١٨٤
أولاً: حفظ شخصية الإمام عليه السلام ١٨٤
ثانياً: التمحيص ١٨٨
ثالثاً: انكشاف عجز وبطلان الأطروحات الأخرى ١٩٥
رابعاً: تجلي مفهوم الانتظار في أحضان الغيبة ١٩٦
خامساً: عدم انقطاع سلسلة حجج الله في الأرض ١٩٩
سادساً: لكي لا تكون في عنقه بيعة لظالم ٢٠٠

سابعاً: الغيبة سر الهي..... ٢٠٣

دعوى المهدوية والسفارة

مدعي المهدوية والسفارة في التاريخ الإسلامي..... ٢٠٦
١ـ الرجل المعروف بالشريعي..... ٢٠٦
٢ـ محمد بن نصير النميري..... ٢٠٧
٣ـ أحمد بن هلال الكرخي..... ٢٠٧
٤ـ أبو طاهر محمد بن علي بن بلال..... ٢٠٧
٥ـ الحسين بن منصور الحلاج..... ٢٠٨
٦ـ محمد بن علي بن أبي العزاقر المعروف بالشلمغاني..... ٢٠٨
الدليل على بطلان دعوى المهدوية والسفارة في عصر الغيبة الكبرى... ٢٠٨
الفهم الصحيح لعلامات الظهور..... ٢١٠
الخلاصة..... ٢١١

الفصل الرابع

بطلان دعوى النص على خلافة أبي بكر

الشبهة: كيف يعترض على خلافة أبي بكر مع وجود النص عليها من قبل الرسول الأكرم ﷺ..... ٢١٥
الجواب..... ٢١٥
أولاً: الروايات الصحيحة وأقوال الصحابة الصريحة الدالّة على عدم النص على أبي بكر..... ٢١٥